المبحث الثاني عشر
تربية المرأة المسلمة المعاصرة والتقنية العلمية الحديثة

تعيش البشرية اليوم شاهدة على زمن التفجر المعرفي والتقني، حيث أضحى العالم أشبه ما يكون بقرية صغيرة، قصرت فيها المسافات بفضل منجزات التقنية الحديثة وعلى رأسها وسائل الاتصال، ومن ثم لم يعد بمقدور أي مجتمع معاصر أن يعيش في عزلة عما يجري في العالم من أحداث.

ولعل أخطر ملامح التقدم التقني المعاصر تتمثل في أن القدرة التقنية قد تخطت مجال الطبيعة إلى الإنسان، فأصبحت تؤثر في ذاته جسدا وعقلا ونفسا من خلال الوسائل الحيوية والكيميائية والنفسية والاجتماعية.(زريق، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ص ٤٠).

وسوف نحاول فيما يلي أن نتعرف على ملامح الثورة التقنية المعاصرة، وكيف يمكن للتربية أن توظفها من أجل الارتقاء بالمرأة المسلمة المعاصرة حتى تتمكن من معايشة العصر الذي تعيش فيه وذلك من خلال الحديث عن:

١-مفهـــوم التقنيـــة.

٢-الثـــورة العلميـــة والتقنيـــة الحديثـــة.

٣-آثار الثورة العلمية والتقنية الحديثة على واقع حياة الإنســان.

٤-أمثلة لبعض المنجزات التقنية الحديثة ذات الأثر على حياة المرأة.

٥-أسباب الأزمة الحضارية التي يعـاني منها المجتمـع المسـلم.

٦-دور التربية في إعداد المرأة المسلمة المعاصرة بما يساعدها على مواكبة العصر.

٧-اتجاهات ومهارات ينبغي أخذها بعين الاعتبار في تربية المرأة المسلمة المعاصر.

أولا : مفهوم التقنية :

جاء في تعريف التقنية بمفهومها الواسع في دائرة المعارف الأمريكية ما نصه:

" (مجموع العمليات المرتبطة بالتعامل مع المواد)" وهي في العمل المؤسسي: "مجموع

العمليات المرتبطة بالتعامل مع المنتجات أو الخدمات (أو ما يسمى بالمخرجات)" (الجابري، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص٥٥).

أما فينان طاهر فتورد للتقنية (التكنولوجيا) تعريفا ينص على أن التقنية هي:

" المجموع الكلي للمعرفة المكتسبة والخبرة المستخدمة في إنتاج السلع والخدمات في نطاق نظام اجتماعي واقتصادي معين، من أجل إشباع حاجة المجتمع التي تحدد بدورها كم ونوع السلعة/ الخدمة ".

وهي تتحدث هنا عن المجموع الكلي للمعرفة والخبرة أكثر من التطبيق الذي يمثل منتجات التقينة (طاهر، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٢٩).

وتقرر طاهر أن الاطار الاقتصادي والاجتماعي للمجتمع المنتج للتقنية هو الذي يحدد الموارد المادية والبشرية المتاحة لتطبيق التقنية اللازمة للإنتاج بناء على الطلب الاجتماعي. (طاهر، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٢٧).

فالطلب الاجتماعي هو الذي يحدد نوع السلعة النهائية والتي يمكن أن تكون أسلحة أو أدوات تجميل أو أدوات صحية.. إلخ.

وتنطلق طاهر من ذلك لتعرف النشاط التقني (التكنولوجي) على أنه: " عملية اجتماعية تحتوي داخلها عدة عوامل متشابكة فيما يمكن أن نطلق عليه.. (نظاما تكنولوجيا) يعمل داخل نظام اجتماعي أكبر يفرض عليه عدة ضغوط" (طاهر، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٢٧).

أما زغلول النجار فيعرف التقنية وفقا للمنظور الإسلامي. فيشير إلى أن كلمة (تقنية) هي لفظة محدثة جاءت بصيغة المصدر الصناعي وهي تعني باختصار: حسن إتقان العمل الذي أوصانا به الرسول ﷺ حين قال: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه ".

والإتقان هو " حسن الأداء على أعلى قدر من الاستطاعة وبأقل تكلفة ممكنة." (النجار، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م،ص٤٤).

ويرى النجار بأن المعنى العام للكلمة والمناسب لكل عصر هو:

" مجموعة المعارف والأساليب المتاحة واللازمة للإنتاج والتنمية (أي لعمارة الأرض

في كل عصر من العصور)". وهو يؤكد على أن التقدم التقني يعمل على ربط المعارف المكتسبة بالقضايا التنموية للمجتمعات البشرية، ويقيم المؤسسات اللازمة لذلك. (النجار، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ص٤٦-٤٧).

أما بدايات التقنية فإنها ترجع إلى اللحظات الأولى لوجود الإنسان، حيث فكر في كفاء نفسه حاجاتها، ومن ثم عمل على اختراع الأدوات المعينة له على ذلك. وهذا يجعلنا ندرك أن مصطلح (تقنية) هو تعبير جديد لمفهوم قديم قدم الإنسانية نفسها (النجار، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص٣٣).

ويؤكد النجار على اتساع مفهوم التقدم العلمي والتقني في الإسلام.. " ليشمل النمو الإنساني بجميع أبعاده حتى يصل بالإنسان إلى مقام التكريم الذي وصفه الله بقوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[الإسراء:٧٠]. فهو يشتمل على النمو المتكامل للأفراد والجماعات في مختلف المواهب والملكات " ابتداء بالقدرة على توفير الاحتياجات المادية التي تمكنه من القيام بواجب الاستخلاف في الأرض، وعمارة الحياة على سطحها "،.. وانتهاء بتطلعاته الروحية والفكرية والأخلاقية والغيبية.." التي تعينه على تحقيق ذاته عبدا لذلك الخالق العظيم " (النجار، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص٧٢).

فالنشاط التقني في الإسلام يمثل سبيلا إلى التعرف على الخالق من أجل تحقيق كمال العبودية له باعتبار ذلك يمثل الهدف الذي خلق الإنسان من أجله.

ثانيا: الثورة العلمية والتقنية الحديثة:

تعتبر الثورة العلمية والتقنية إحدى معالم العصر الحديث، وذلك باعتبارها السبب الأساسي فيما حدث من تحول جذري في كل مجالات الإنتاج الذي يمثل الأساس المادي للحياة فوق الأرض.

فتحت تأثير الإنجازات العلمية والتقنية الحديثة ظهرت هناك أساليب جديدة في الإنتاج وإدارته، مما ظهر أثره على العالم كله بدوله ومدنه وقراه.

وكان من أسباب ذلك ظهور فروع جديدة في العلوم، وانتشار الاكتشافات، في كل المجالات بسرعة إلى المجالات الأخرى (نصيف في المرأة العربية - العرب والعالم، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ٣٠٥).

ونجد العلماء يطلقون على الثورة العلمية والتقنية الحديثة أسماء مختلفة: منها: الثورة الصناعية الثانية..، والثورة التقنية، و(التكنولوجية)، وهناك من يطلق عليها أسماء تدل على الفروع التي تتقدم فيها العلوم بشكل أكثر، مثل: (عصر الذرة) أو (عصر الفضاء) أو (عصر الروبوت).. إلخ.

و هو يؤكد على أن هذه التعريفات لا تعكس الطبيعة الحقيقية لهذه الثورة، التي لم يتوقف تأثيرها على الإنتاج المادي فحسب، بل تجاوزه إلى كافة مجالات النشاط الإنساني سلبا وإيجابا. (نصيف في المرأة العربية - العرب والعالم، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ٣٠٦).

ثالثا: آثار الثورة العلمية والتقنية الحديثة على واقع حياة الإنسان:

يمكن ملاحظة الآثار التي تركتها الثورة التقنية الحديثة على واقع حياة الإنسان في مجالين اثنين:

١-في المجال العلمي.

٢-في المجال الاجتماعي.

وسوف نتناول ذلك بالتفصيل فيما يلي:

١- في المجال العلمي:

يلاحظ على العلم المعاصر اليوم أن السمة المميزة له اليوم تتمثل في أنه أصبح (صناعة قائمة بحد ذاتها)،.. تعتمد على المعدات والأجهزة المعقدة والأدوات المعملية والمواد والوسائل التي تقدمها التقنية الحديثة من أجل ضمان نجاح الأبحاث والتجارب العلمية. كما أن ذلك قد أثمر بدوره عن قيام صناعات خاصة بالبحث العلمي من أجل تزويد البحوث والمعامل بكل ما تحتاجه (نصيف في المرأة العربية - العرب والعالم، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ٣٠٧).

وقد أثمر كل ذلك عن تسارع كبير في المجال العلمي، حيث كثرت المكتشفات والمخترعات فأصبحنا نلاحظ وجود كثافة في التطبيقات العملية للعلوم واختزال للوقت فيما بين ظهور الاكتشاف العلمي وتطبيقه، وظهور مؤسسات ومعاهد علمية متخصصة من أجل التأكد من انتقال التجارب النظرية إلى حيز التنفيذ في الواقع.

ونجد أن (**ثورة المعلومات**) قد أصبحت تمثل أحدث قضية يتم تداول الحديث بشأنها في العالم كله. فهناك الآن من يتحدث عن..(الفضاء المعلوماتي)، و(طريق المعلومات السريع). بل إن المعركة بشأن التحكم في الفضاء المعلوماتي قد بدأت، وأصبحت شبكة (الإنترنت) تمثل إحدى المعارك. (الطياش في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ع ٦٤٩٦).

والإنترنت عبارة عن شبكة متصلة من أجهزة الكمبيوتر الأساسية، يرتبط بكل واحد منها عدد من الأجهزة الفرعية الصغيرة. وتتمكن برامج الخدمة المثبته على الأجهزة الكبيرة المختلفة من تأدية مهام مختلفة للأجهزة الصغيرة المتعلقة بالشبكة [1].(مجلة الشرق الأوسط، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص ٢٩).

ويتناول محتوى (الإنترنت) جميع جوانب حياة الإنسان دون استثناء من حلال عالمها الخاص المسمى (الفضاء التخيلي)؛ فهناك المحتوى الأكاديمي (الجامعي) الذي تقدمه وتشرف عليه هيئات ومراكز جامعية أو بحثية، وهناك المحتوى الإعلامي الذي تقدمه وسائل الإعلام المختلفة عبر نسخها الإلكترونية، وهناك المحتوى المتعلق بالحضارة والفلسفة الذي يتناول جميع المذاهب والاتجاهات الدينية والفلسفية. وهناك أيضا مواد غنية لإشباع الهوايات الأدبية والفنية بمختلف أنواعها. وكذلك المحتوى العلمي الذي يتناول جميع المجالات العلمية غير الأكاديمية وتطبيقاتها. ولها فوائد في مجال البحث العلمي والتثقيف العام والرعاية الاجتماعية، والصحة حيث تقدم معلومات عن الأمراض وشروح لبعض العمليات ونصائح عامة للمرضى والأصحاء. بل إن هناك محتوى يتعلق بشبكة الإنترنت نفسها للتعريف بها وبأقسامها وبكيفة التجول فيها. وأكثر المحتويات كثافة في الشبكة هو المتعلق بالمجال التجاري والذي يستخدم لأغراض تسويقية من قبل الشركات والمؤسسات التجارية. (جهاد عبدالله في العربي، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ع٤٥٧، ص ١٤٠ / مجلة الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع٤٨٠، ص ٣٠-٣١).

---

(١) بدأت شبكة الكمبيوتر (إنترنت) في عام ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م بواسطة وزارة الدفاع الأمريكية، لتبادل المعلومات بينها وبين مراكز البحث العلمي في الجامعات الأمريكية وفي الدول الأخرى، ثم أخذت الجامعات ومراكز البحوث فيها بربط حاسباتها الآلية بغيرها من الجامعات، الأمر الذي مكن العلماء والباحثين من إجراء اتصالات سريعة ومعرفة التطورات العلمية في كل جهة (المسلمون، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ع ٥٨٢).

وتتعدى خدمات الإنترنت تقديم المعلومات إلى تقديم خدمات أخرى مثل (خدمة) (البريد الإلكتروني) الذي يمثل فرصة عظيمة للتواصل واختصار المسافات، وكذلك هي توفر الفرصة لتبادل الحوار في مختلف جوانب المعرفة. وإلى جانب كل هذه المميزات وغيرها فإن هذه الشبكة تتميز بالحرية في عرض الأفكار المختلفة مما يساعد على إزالة الحواجز التي تقف سدا بين الطبقات والثقافات والحضارات.

وقد أكدت هذه التقنية المعلوماتية على أنه لم يعد هناك استقلال ثقافي أو فكري في الواقع المعاش، حيث أصبح بالإمكان من خلالها استقبال أي شيء في أي وقت ومن أي مكان، فليس هناك أية رقابة على متلقي الثقافة عبر خطوطها ؛ الأمر الذي تسبب حتى الآن - وهذه إحدى سليبات هذه الشبكة - في إحداث صدام في المجتمع المسلم بين المتقبلين والرافضين لخدماتها الذين يشعرون بأنها تفقدهم الاستقلالية الثقافية.

٢- في المجال الاجتماعي:

أدت الثورة التقنية الحديثة إلى إحداث آثار خطيرة على ظروف الإنسان النفسية وعلاقاته الاجتماعية بما فاق التلوث البيئي وأثره على صحة الإنسان، حيث أصبح التغير في حياة الأفراد والجماعات فوق قدرات الإنسان الجسدية والحسية.

إن حواس الإنسان ذات حدود معينة، فإذا ما تعداها أرهقته إرهاقا شديدا، يدفعه إلى مساعدتها بمختلف الأجهزة التي تعينه، في حين أنها قد خلقت للعمل في ظروف معينة يشعر في ظلها بالراحة. فإذا ما تعدت ذلك وقع في أزمات نفسية وصحية (النجار، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ١٠٩).

وقد وجد أن " شدة الإضاءة وارتفاع معدلات الضجيج وازدحام السكان وتكدس المرور وتلوث البيئة وتفكك الأسرة وتحلل الروابط الاجتماعية والمبالغة في شعور الفرد بالوحدة "، هي من أكثر أسباب الأزمات النفسية والانهيارات العصبية التي يمكن أن يصاب بها الإنسان. ولهذا نجد إنسان اليوم، شديد التوتر والتنافر مع محيطه، لأنه عاجز عن اللحاق بسرعة التقدم المعاصر (النجار، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ١١٠).

فالمدنية المعاصرة تفصل الإنسان عن الطبيعة وتحيطه بجو صناعي لا يتناسب مع فطرته؛ مما يجعله عاجزا عن التلاؤم مع الواقع الذي يعيشه، ومن ثم تحدث لديه الاضطرابات المشار إليها.

ويؤكد ذلك بيجوفيتش حينما يقرر أن العوامل الحضارية تساعد على عزل الإنسان؛ فكلما اتسعت المدنية قلت الطبيعة، حيث يكثر الدخان وجدران الإسمنت والتكنولوجيا، وتزداد الجريمة، بينما إنسان القرية لديه فرصة أكبر لمشاهدة السماء والحقول والخضراء والأنهار والأزهار.. إلخ، فهو يعيش متصلا بالطبيعة وعناصرها المتنوعة.. بينما يعيش إنسان المدينة محاطا بمعارف سلبية عبر وسائل الإعلام الجماهيرية وكذلك بأشياء قبيحة من المنتجات الصناعية، ويقل عنده الشعور بالجمال وتذوقه لقلة ارتباطه بالطبيعة، وهذا يفسر قلة تدين إنسان المدينة مقارنة بإنسان القرية (بيجوفيتش، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص١١٠).

أما السبب الحقيقي الذي أدى إلى هذه المآسي التي لحقت بالإنسان؛ فإنه يكمن في أن الحضارة المعاصرة قد وضعت الإنسان في قائمة الأشياء، وحاولت أن تحكم عليه بمقاييس العلم المادي من خلال التجارب المحسوسة دون أن تلقي بالا للجانب المعنوي لديه، وقد أشار إلى ذلك كاريل بقوله:

" إن الحضارة العصرية تجد نفسها في موقف صعب؛ لأنها لا تلائمنا. فقد أنشئت دون أية معرفة بطبيعتنا الحقيقية، إذ أنها تولدت من خيالات الاكتشافات العلمية، وشهوات الناس وأوهامهم ونظرياتهم ورغباتهم. وعلى الرغم من أنها أنشئت بمجهوداتنا إلا أنها غير صالحة بالنسبة لحجمنا وشكلنا. " (كاريل، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٣٧).

ويضيف قائلا:

".. يجب أن يكون الإنسان مقياسا لكل شيء ولكن الواقع هو عكس ذلك، فهو غريب في العالم الذي ابتدعه، إنه لم يستطع أن ينظم دنياه بنفسه، لأنه لا يملك معرفة علمية بطبيعته، ومن ثم فإن التقدم الهائل الذي أحرزته علوم الجماد على علوم الحياة هو إحدى الكوارث التي عانت منها الإنسانية" (كاريل، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٤١).

وعلى الرغم من أن التقنية الحديثة قد يسرت للإنسان الانطلاق بفكره إلى عوالم جديدة، إلا أنها في الوقت نفسه؛ قد عادت عليه بكثير من المتاعب الخطيرة التي بات عليه أن يواجهها، لأنه في الوقت الذي سخر فيه كثيرا مما في الكون لخدمته، استخدمه في إطار من العادات والتقاليد والنزعات الممتدة من الماضي، كالتنافس والفردية والاستغلال والعنصرية والطبقية والاحتكار؛ ولذلك وجدنا من بين الأمم المتقدمة من تتخذ من العلم

نعمة لها، وتجعله نقمة على غيرها، وذلك من خلال محاولاتها الرامية إلى التوسع والسيطرة ومحاولة فرض الهيمنة والتحكم في مصير الشعوب الأخرى.

فهي تنفق الأموال بلا حساب على إنتاج أدوات الحرب والدمار وأجهزة التجسس، ثم لا يتحرك ضميرها لمن تتهددهم المجاعات والأمراض، فتحول شيئا من أموالها إليهم. وقمة الأنانية تتمثل في استئثار تلك الدول بأسباب التقدم العلمي دون أن تفكر في تسخيرها من أجل حل مشكلات العالم الثالث. بل تكتفي بتقديم المساعدات وقوافل الإغاثة ذات الأهداف المعلنة والخفية، إضافة إلى توجيهها إلى مشاريع غير إنتاجية لا تخدم الاقتصاد المحلي بصورة جدية، وليس لها علاقة بتطوير الإمكانات الذاتيه؛ مثل إنشاء الفنادق الضخمة، والملاعب الرياضية الباذخة، ودور الأوبرا الفارهة، وغيرها من صور الترف والإفساد التي لا تحتاجها الدول الفقيرة في مراحل نموها الأولى، أو قد لا تحتاجها أبدا. (النجار، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ٨٠-٨١).

بل إن الحركة العلمية، والثورة الصناعية التي شهدتها أوروبا في القرن الثامن عشر، والتي أفرزها العلم، قد اتخذت من العلم ممونا (منطقيا) لها، فراحت تنتج من خلال التقنية أدوات الدمار والخراب التي تمكنها من توفير مصدر نموذجي للمواد الخام، ومستهلك نموذجي للسلع والبضائع وبذلك تشكلت العلاقات بين دول العالم: عالم الشمال وعالم الجنوب. أو شعوب مالكة وأخرى محتاجة. (عبد العظيم، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣ م، ص ٦٠).

ونجد أن الدول المتقدمة التي زادها التقدم العلمي والتقني ثراء ورفاهية وقوة؛ قد زادها اضمحلال الوازع الديني وفقدان الفهم الصحيح لرسالة الإنسان في هذه الحياة تحللا وتفسخا وانحطاطا جعل مجتمعاتها تتآكل من الداخل. وأبرز المؤشرات على ذلك استخدامها للتقنية دون أية ضوابط دينية أو أخلاقية؛ مما أدى إلى استنزاف كثير من الموارد الطبيعية، وإغفال عواقب التصنيع من تلوث واختلال في مناخ الأرض، والعبث بقضايا الهندسة الجينية، وإنتاج للسلاح بصورة هائلة كما ونوعا.. إلخ السلبيات [1]. (النجار، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩ م، ص٢٨-٢٩).

---

(١) وجد أن أكثر من ٥٠٪ من الاستثمار العالمي في العلم والتقنية يتجه لإنتاج الأسلحة، و الثلث المتبقي يتوجه لإنتاج سلع غير ضرورية كما أن هناك اعتقاد ثابت بأن النمط الصناعي الغربي على صلة وثيقة بأول ١٠-١٥٪ من الأمراض المؤدية للوفاة، وعلى صلة وثيقة بالاختلال البيئي والتلوث الحراري بكل تبعاته (وثيقة الإستراتيجية العربية للتنمية الاجتماعية الشاملة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص٤٠).

لقد خطت الثورة التقنية المعاصرة خطواتها موجهة بمفاهيم تقدس النمو الاقتصادي وتجعله المقياس الأوحد للتقدم، مما أوصلها إلى تشييء الإنسان بسبب النظر إلى جانب واحد من جوانب اهتماماته مع إغفال الجوانب الأخرى، الأمر الذي أدى إلى كثير من المآسي والخلل في الحياة الاجتماعية.

وقد جاء في الإستراتيجية العربية للتنمية الاجتماعية ما يشير إلى " أن إهمال الجوانب الوجدانية والمؤشرات الإنسانية والاجتماعية للتنمية، مقابل التركيز على المادة والنمو الاقتصادي قد دفع البشر في هذه الحضارة دفعا متناميا إلى تصاعد حالات الانتحار وتمزق الأسرة. ورغم كل هذه الظواهر السلبية والممزقة فما زال الحديث في تلك العوالم عن (اقتصاديات العرض) أي عن مزيد من تطوير التكنولوجيا وتحديث الاقتصاد وفق نفس المشكلات، أي داوني بالتي كانت هي الداء." (وثيقة الإستراتيجية العربية للتنمية الاجتماعية الشاملة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٤١).

ونجد الآن كثيرا من الأصوات التي ارتفعت مؤخرا في الغرب؛ تحذر من المخاطر التي تحملها التقنية الحديثة على الأسرة والمجتمع، ومن ذلك دراسة للباحث الأمريكي (جون ينصبات) نشرها مركز دراسات العالم الإسلامي بعنوان (الاتجاهات الكبرى عام ٢٠٠٠).

وقد تناول الباحث في دراسته هذه بعض القضايا المهمة التي يمكن أن تؤثر على مصائر الشعوب الإسلامية. وتطرق أيضا في حديثه إلى بعض الإشكاليات والقضايا التي تطرحها الثورة التقنية وعالمية السوق على نفسها وعلى العالم كله، ومنها قضية العودة إلى الدين؛ التي أصبحت ظاهرة عالمية " تهدف إلى كشف الغموض عن المدنية الحديثة". ويرى ينصبات أن ذلك يمثل أيضا " علامة على نهاية ذلك النوع من الإيمان بأن العلم قادر على حل جميع مشاكلنا)".

ويضيف ينصبات قائلا:

" لقد كان الدافع وراء تبجيل التقدم الصناعي والاقتصادي هو أن البشرية سوف تسخر الطاقات التكنولوجية لخدمة الإنسان والحياة وليس ضدهما "، لكن " تبين أن التكنولوجيا قادرة وبنفس الدرجة على خلق الدمار، مما جعل الناس يتحولون بعيدا عن عبادة العلم والتكنولوجيا".

ويرى ينصبات بأنه ".. إذا بدا حماس المتدينين تطرفا في بعض الأحيان؛ نستطيع أن نتفهم ذلك باعتباره جزءا من عملية شاملة أكبر من ذلك بكثير، ألا وهي رفضنا لتقبل الحياة وتعريفها بأنها مجرد علم وتكنولوجيا " وأننا "من خلال العودة إلى الدين فإننا نعيد تأكيد الروحانية في صورة سعي حثيث متوازن للارتقاء بحياتنا وحياة جيراننا" (الاتجاهات الكبرى في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦١٣٨).

رابعا: أمثلة لبعض منجزات التقنية الحديثة ذات الأثر على حياة الإنسان:

١- التقنية الحديثة في مجال الإنجاب.

تعتمد التقنية الحديثة في مجال الإنجاب على استخدام الوسائط المعملية من أجل الحصول على الأجنة. وقد بدأت هذه الثورة التقنية في مجال الإنجاب بعملية التلقيح الصناعية التي جربت أولا على الحيوان، ثم عممت على الإنسان كحال جميع التجارب العملية.

وتتمثل عملية التلقيح الصناعي " طفل الأنبوب " في أخذ بويضة المرأة بواسطة مسبار وجمعها مع حيوان منوي يؤخذ من الرجل في طبق بيتري Petri dish، ثم تترك البويضة المخصبة لتنقسم، ثم توضع في جدار الرحم لتنغرز فيه وتنمو نمو الحمل الطبيعي حتى الولادة (البار، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ٣٣).

وقد ولدت أول طفلة أنابيب في إنجلترا عام ١٩٧٨م ومنذ ذلك الوقت والدراسات والأبحاث المتعلقة بالتقنية الإنجابية تتطور بمعدلات سريعة، حيث أعقب ذلك ولادة أول توأم للأنابيب عام ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م، وأول ثلاثة توائم عام ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م. وفي نفس العام تمت ولادة أول طفل عن طريقة زراعة الأجنة. وفي عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ولد أول طفل عن طريق تقوية الحيوان المنوي للأب ذي الخصوبة الضعيفة، كما استطاعت سيدة الإنجاب على الرغم من عدم وجود مبايض لديها من خلال العلاج بالهرمونات. وفي عام١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م نجح أطباء أستراليون في استخدام بويضة مجمدة في عملية إنجاب توأم، وفي عام ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩م نجح العلماء في حقن حيوان داخل البويضة بدلا من تركه يلقح البويضة بشكل طبيعي مما سجل فتحا في علاج عقم الرجل، وكل ذلك قد انبثق عن تجربة طفل الأنابيب (مواليد بلا أمهات في اليمامة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ع ١٤٤٨، ص ٣٠).

وكما لاحظنا فقد ابتكرت تقنية الإنجاب، أساسا لمساعدة النساء اللاتي يعجزن عن الإنجاب، حيث إن تجربة (طفل الأنابيب) تهدف أساسا إلى تفادي انسداد قناة فالوب لدى بعض السيدات (مواليد بلا أمهات في اليمامة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ع ١٤٤٨، ص ٣٠)، لكنها فيما بعد قد تخطت ذلك إلى أمور كثيرة؛ منها تحديد نوع المولود، وعدده، ووقت ولادته، وتعدى الأمر ذلك حين بدأت هذه التقنية في اقتحام آفاق مفزعة لا تراعي أية قيم أو مبادئ في سبيل تحقيق أهواء الإنسان ورغباته.

وسوف نحاول فيما يلي توضيح ذلك من خلال الحديث عن تحديد نوع المولود، وتأجير الأرحام، والهندسة الوراثية.

أ - تحديد نوع المولود:

نجح فريق من الأطباء اليابانيين في التوصل إلى طريقة لفصل الحيوانات المنوية التي تنجب الذكور عن تلك المنجبة للإناث؛ حين تعرفوا على صفات كل منهما من حيث الوزن والشحنة الكهربائية المميزة. وهناك طريقة أخرى توصل إليها العلماء تتمثل في إعطاء الأم مناعة ضد البروتينات الموجودة فقط في خلايا الحيوانات المنوية (مواليد بلا أمهات في اليمامة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ع ١٤٤٨، ص٣٣).

وهناك طرق أخرى توصل إليها العلماء، من بينها ما اعترض عليه العلماء باعتباره لا أخلاقيا وهو ما تحدث عنه بيجوفيتش تحت عنوان (الإعقام اليوجيني) [1]، حيث يتم فيه فحص الجنين بواسطة العوامل الوراثية، فإذا اكتشف أنه من النوع غير المرغوب فيه يعدل الطبيب عن زراعته في رحم الأم. (مواليد بلا أمهات في اليمامة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ع ١٤٤٨، ص ٣٠).

وقد أسفرت هذه التقنية عن آثار سلبية في بعض المجتمعات النامية، خاصة في الهند والصين، حيث تعمد الأمهات إلى إجهاض أنفسهن في حالة الجنين الأنثى لأسباب اقتصادية واجتماعية قهرية.

فالمجتمع الهندي يفضل الذكور على الإناث بسبب المهر الذي يتوجب على ولي الفتاة

---

(١) كلمة يوجيني نسبة إلى يوجينيا Eugenias وهي تعني دراسة الوراثة الإنسانية بهدف تحسين النسل البشري. من خلال التربية الاختيارية، أي اختيار أفضل العينات ومنع نمو أسوئها (بيجوفيتش، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص١٨٩).

تقديمه عند زواجها. وعلى الرغم من أن الحكومة قد منعت عملية تحديد نوع الجنين في المستشفيات الحكومية، إلا أن العيادات الخاصة ما زالت تمارس ذلك سرا. ففي دراسة صدرت عن ولاية بومباي الهندية، وجد أنه من بين ٨٠٠٠ حالة إجهاض كانت ٧٩٩٧ منها لجنين أنثى. كما أشارت دراسة أخرى إلى أن عدد الإناث في انخفاض مطرد مقارنة بعدد الذكور في الهند، حيث تزايد العدد من ٩ ملايين عام ١٩٠١م إلى ٢٥ مليون عام ١٩٨١م، والسبب كما أشارت الدراسة هو انتشار ظاهرة إجهاض الأجنة الإناث.

كذلك في المجتمع الصيني الذي حدد فيه عدد المواليد لكل أسرة بسبب الزيادة الكبيرة في عدد السكان، فلأن غالبية الأسر تفضل الذكور على الإناث، فقد دفعها ذلك إلى استخدام تقنية تحديد نوع الجنين والتخلص منه إذا ما كان أنثى. وقد وصل الأمر إلى حد أنه في إحدى العيادات؛ بلغت نسبة حالات الإجهاض لأجنة إناث ٩٧.٥٪. وقد علقت إحدى الصحف الصينية على هذه الظاهرة بقولها :

" إن تفضيل الصينيين التقليديين للمواليد الذكور والتقدم التقني الذي يمكنهم من معرفة نوع الجنين يهدد البلاد بجيل من العزاب قد يصل الى ٨٠ مليون نسمة عام ٢٠٠٠." (صحيفة الجمهورية اليمنية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ع ٩٩٦٦).

ولهذا وجدنا الملتقيات العالمية التي تهتم بالمرأة – في تأكيدها على نبذ العنف والتميز ضد المرأة – تؤكد على لا أخلاقية هذه الممارسات، حيث جاء ضمن توصيات مؤتمر بكين ما نصه:

" القضاء على جميع أشكال التمييز ضد الابنة واستئصال أسباب تفضيل الابن مما يؤدي إلى ممارسات ضارة وغير أخلاقية، ومنها مثلا وأد الأنثى واختيار نوع الجنين قبل مولده، ويتفاقم هذا الأمر في كثير من الأحيان بازدياد استخدام تكنولوجيات تحديد نوع الجنين مما ينجم عنه إجهاض أجنة إناث. " (وثائق بكين في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦١٧١، فقرة ٢٧٧).

فينبغي الاهتمام في تربية المرأة المسلمة المعاصرة بتعرفها بالجوانب الإيجابية لهذه التقنية وتنبيهها إلى سلبياتها التي تحرم المولودة الأنثى حق الحياة بصورة همجية تتنافى مع الإنسانية.

ب – تأجير الأرحام:

وهذه التقنية يطلق عليها البعض " الأم المستعارة " ولها أشكال عدة ذكرها الدكتور

البار ومنها:

١- أن تؤخذ البويضة والحيوان المنوي لزوجين فتلقح في طبق ثم توضع في رحم امرأة أخرى تستأجر لذلك.

٢- أن تؤخذ البويضة والحيوان المنوي من رجل غير زوجها، ثم تزوج اللقيحة في رحم امرأة ثانية.

٣- أن يؤخذ الحيوان المنوي من الزوج فيلقح ببويضة مأخوذة من امرأة أخرى غير زوجته ثم تزرع اللقيحة في رحم الزوجة (البار، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ص ٧٧-٧٨).

وهذه التقنية تطبق الآن في الغرب على نحو واسع لدرجة أنها أصبحت تنتج من المواليد من يشترك فيه خمسة من الآباء والأمهات: معطى الحيوان المنوي، ومعطية البويضة، وحاملة البويضة الملقحة، والوالدين الذين يقومان برعاية الوليد.

ولأن الفطرة التي أودعها الله في الإنسان لا تستسيغ هذا الخلط العجيب، فقد وجدنا من بين الغربيين من يعارض هذه الممارسات غير الأخلاقية، سيما وأنه قد وجد أن كثيرا من الأمهات اللائي يرغبن في الإنجاب بهذه الطريقة قد تجاوزن سن الإنجاب بكثير.

ففي مركز (سيفرنو اتينوي) بإيطاليا؛ أنجبت امرأة في التاسعة والخمسين من عمرها وأخرى في الثامنة والستين، الأمر الذي جعل المخاوف ترواد العقلاء من الساسة والعلماء، منهم وزير الصحة الفرنسي فيليب دوستي الذي علق قائلا:

" بالنسبة لي كانت صدمة كاملة، إن الأم ستكون في الثمانين من عمرها عندما يكون وليدها في الثانية عشرة." (غنام في العربي، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ص ص ١٦٨-١٦٩).

وقد طالب البروفيسور (جان فرانسوا مايتبي) - وهو طبيب بارز وعضو في لجنة الأخلاقيات الفرنسية - المجتمع بوضع حد لما يجري، كما طالب بإيقاف التلقيح في أنابيب الإختبار رحمة بالأيتام الذين يملئون سطح الكرة الأرضية، حيث استشهد بامرأة في الثانية والخمسين أصيبت أثناء حملها بشلل نصفي لم يمكنها من رعاية ابنها بعد ولادته (سوق دولية كل الأسرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ع ١٦، ص ٣٤).

وهناك أيضا علماء النفس الذين يقفون ضد هذه التجارب حيث يعتبرون الأم المنجبة أما غير حقيقية، بل إن البعض يذهب إلى تشبيه هذه العمليات بالعمليات الجراحية، حيث تعمد المسنات إلى الحمل بهذه الطريقة رغبة في الخلود من خلال الأجنة دون أن

يفكرن في أنهن لم يعدن قادرات على مواجهة أمور تربية الأطفال الذين يحرمون من متعة وجود الجدة.(سوق دولية كل الأسرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ع ١٦، ص ص ٣٤-٣٥).

ج - الهندسة الوراثية:

تعتبر الهندسة الوراثية من أهم التقنيات الحديثة التي تستند إلى أحد فروع علم الحياة وهو علم الحياة الجزيئي الذي يتعامل مع الحقائق والمعلومات الوراثية. وقد اكتشفت هذه التقنية في بداية السبعينيات من القرن الميلادي الحالي، وهي تقوم على "....إحداث تبادل (مسيطر عليه) في الصفات الوراثية بين الأحياء (عماش، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٨م، ص ص ٩-١٥).

وقد تمكن العلماء باستخدام هذه التقنية من " ربط صفات الكائنات الحية ودمج وظائفها بعضها ببعض من أجل إغناء قدراتها وتطويرها (عماش، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٨، ص ١٥).

وحتى وقت قريب اقتصر استخدام هذه التقنية على المملكة النباتية؛ حيث ساعدت على تحقيق إنجازات هائلة فيما يتعلق بزيادة وتحسين الإنتاج الزراعي، إلى جانب إسهاماتها في تشخيص الأمراض الوراثية والأمراض الجينية، وكذلك في مجال صناعة الدواء؛ مثل صناعة هرمونات الأنسولين وهرمون النمو. (عفريت الوراثة.. في زهرة الخليج، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ع ٩٣٨، ص ٩٨).

لكن الحضارة الغربية المعاصرة التي تقيس كل شيء في الحياة بالمقياس المادي، وتنظر إلى الأمور من جانبها الاقتصادي فقط دون سواه، قد حاولت مؤخرا تطبيق هذه التقنية في مجال الحيوان وذلك من خلال ما يسمى بـ (الاستنساخ) الذي أثمر أخيرا عن توليد نعجة تمثل نسخة من النعجة الأم.

فقد قام فريق من العلماء بقيادة د. إيان ويلموت بمعهد روزلين في أدنبرة عاصمة اسكوتلاندا وبتمويل من شركة PPL للأدوية بإجراء تجربة ملخصها الآتي:

اختاروا نعجة من سلالة فين دورسيت Fin Dorset وأخذوا خلية من ضرعها ثم انتزعوا نواة الخلية التي تحتوي على جميع الصفات الوراثية للنعجة ووضعوها في بيئة غذائية بالمعمل.

أخذوا بويضة من نعجة أخرى من نفس السلالة وأزالوا نواتها ثم زرعوا بدلا عنها نواه خلية الضرع.

وضع الجنين الناشيء بهذه الطريقة في سائل حيوي مخصوص لوقف نشاط العوامل الوراثية الموجودة في النواة المزروعة لبعض الوقت.

عرضوا الجنين لتيار كهربائي محدد المقدار فحدث التحام واندماج بين النواة المزروعة وخلية البويضة منزوعة النواة، وأصبح لديهم جنين من خلية واحدة.

تمت زراعة الجنين في رحم نعجة ثالثة من نفس السلالة لتقوم بدور الوعاء الحامل للجنين، فأنتجت نعجة أخرى أسموها (دوللي) تمثل نسخة طبق الأصل من النعجة الأولى. (زهرة الخليج، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ع ٩٣٨، ص ص ٩٧-٩٨).

إن من واجب التربية أن تعمل على توعية المرأة المسلمة المعاصرة بهذه الممارسات الناجمة عن التقنية الحديثة في مجال الإنجاب لتزيد من خبرتها بالواقع المعاصر الذي نعيش فيه. ولكن لا تكتفي بذلك بل تقييم هذه الأمور من وجهة نظر الإسلام من أجل تحديد درجة الصواب والخطأ فيها.

وما من شك في أن ما أشرنا إليه من تطبيقات، يتنافى في كله أو بعضه مع السنن الفطرية والأخلاق البشرية، ولكن الجزم بذلك يحتاج إلى تضافر جهود علماء الدين وعلماء الحياة الذين ينبغي أن يتعاونوا من أجل تحديد موقف الإسلام من هذه الأمور، التي تجد رفضا من بعض المتخصصين الغربيين هناك، وعلماء الدين لدينا.

وقد عمل المحامي (جيرمي ريكفين) إلى إجراء دراسة عن الجوانب الأخلاقية والنفسية والاجتماعية لما يحدث في مجال تقنية الإنجاب. وطالب فيها " بوضع الحدود والموانع القانونية لهذا التسيب " إذ لابد من تجريم مصممي المواليد.

ويناقش الدكتور إبراهيم المحمود مسألة (تأجير الأرحام)، فيشير أولا إلى حفظ الأنساب الذي أكد عليه الإسلام لما يترتب عليه من أحكام شرعية. ثم ينتقد ما يحدث في الغرب من (تلاعب) بالأعراض والأنساب مما تنفر منه الطباع السليمة، إلى جانب ما فيه من إهدار للقيم والأخلاق. ويضيف بأن هذا الأمر ينذر بكارثة في المجتمعات الإنسانية لما يترتب عليه من تغيير في الأنساب، حيث تعم الفوضى ويكثر النزاع والهدم للأمم والشعوب.(في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦١٥٣).

ولأن الفطرة تأبى هذا الانتكاس. فقد وجدناها تستيقظ لدى إحدى (الأمهات بالتأجير) حيث دفعتها غريزة الأمومة إلى رفض تسليم الطفل لصاحبة البويضة بعد ولادته، رغم أنها وقعت عقدا على ذلك (البار، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ٦).

كذلك يؤكد د. محمد لطفي الصباغ، على أن تأجير الأرحام أمر شنيع وبعيد عن المنطق، وهو إنما يمثل عبثا بالأجنة، لا يرضاه الإسلام الذي فتح الباب أمام من لايستطيع الإنجاب بالزواج من أخرى. ويقرر الدكتور الصباغ أن هذه العملية تمثل تحويرا وتحويلا للعلاقات الإنسانية إلى أمور مادية بحتة تقاس بالنقود. ويتساءل الدكتور بقوله: إن العلاقة بين الأم وجنينها تزداد يوما بعد يوم وهو ينمو في رحمها، فكيف توجد هذه العلاقة وهو ينمو في رحم أخرى. (الصباغ في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦١٤٠).

وفيما يتعلق بالاستنساخ، نجد أنه على الرغم من أن التجربة المعلن عنها قد طبقت على الحيوان، إلا أنه ما أن أذيع خبرها حتى سرت موجة من الذعر بين الناس في مختلف أنحاء العالم، عبرت عنها ردود الفعل الكثيرة التي صدرت من قبل السياسيين والعلماء ورجال الدين.

أما مصدر الخوف فهو إمكانية التوصل من خلال هذه التقنية إلى إنسان مستنسخ يحمل الصفات الوراثية لشخص آخر من لون الشعر وشكل الجسم وحتى المزاج والأخلاق (هل هي تجربة.. في الإصلاح ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧ م، ع٣٦٥، ص٣٢).

وقد جوبهت الهندسة الجينية بمعارضة قوية من قبل الأوساط الاجتماعية والدينية منذ السبعينيات؛ بسبب التخوف من استخدامها لإنتاج جيل جديد من البشر (إياد أحمد في العالم، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٧م، ع ٥٦٠، ص ٥٢).

ولهذا وجدنا المخاوف قد زادت حين تمكن العلماء من تطبيق هذه التقنية في مجال الحيوان، متوقعين إمكانية تطبيقها على مجال الإنسان.

ومن ردود الفعل التي صدرت عقب الإعلان عن هذه التجربة أن رئيس السوق الأوربية المشتركة طلب من الدول الأعضاء دراسة هذا الموضوع عن كثب لاتخاذ قرار أوربي مشترك حول أخلاقية هذا الأمر، ومنعه إذا تطلب الأمر. وسارعت بريطانيا إلى تشكيل لجنة من المختصين بالتقنية الجينية من أجل وضع خطط لمنع استخدام هذه التقنية،

وقررت منظمة الصحة العالمية التابعة لهيئة الأمم المتحدة عقد جلسة للخبراء لدراسة الموضوع بنهاية شهر مارس ١٩٩٧م. كما طالب الفاتيكان من حكومات الدول وضع قوانين تحرم استخدام هذه التقنية خاصة فيما يتعلق بالبشر، واعتبر ذلك تدخلا مباشرا في عملية الخلق (إياد أحمد في العالم، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ع٥٦٠، ص٥٠) .

كذلك فقد قام رئيس الولايات المتحدة الأمريكية (كلينتون)؛ بتشكيل لجنة خاصة من العلماء للبحث في تفاصيل هذه التجارب وتقديم تقرير مفصل عنها في غضون ثلاثة أشهر (العوضي في المجتمع، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ع ١٢٤٢٤، ص ٣٥).

ونجد الأنبا موسى أسقف الشباب بالكنيسة المصرية - وهو طبيب - يرفض عملية الاستنساخ لما تتضمنه من تغيير في الخلق، يخل بالعلاقة بين النوعين، الأمر الذي يهدد بإلغاء دور الأسرة (عبدالرحمن في الشعب، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ع ١١٤٥).

بل إن مدير الأبحاث المسئول في شركة PPL التي مولت التجربة؛ قد اعترف بأنه قد وجد صعوبات بالغة في إقناع زوجته وابنه بالمبررات التي دفعته إلى تأييد هذه التجربة التي تنطوي - كما صرح هو - على " علم مرعب " (عفريت الوراثة.. في زهرة الخليج، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ٩٣٧، ص ٩٩).

وفي استطلاع للرأي العام بأمريكا أجرته مجلة (تايم) أشارت النتائج إلى أن ٨٩٪ من الأمريكيين يعارضون الاستنساخ .

وتقديم هذه المعارف والخبرات للمرأة المسلمة المعاصرة يعينها على إدراك ما يستجد في عصرها؛ بحيث لا تتخلف عن معايشته. لكن يجب عدم الاكتفاء بذلك بل لابد من العمل على توعية المرأة بالجوانب الإيجابية والسلبية لهذه التقنية الحديثة، وكيف أن السلبيات إنما تنجم عن فقدان العالم الغربي للأمن النفسي الذي يدفعه إلى محاولة الاستمتاع بكل ما يمكنه التوصل إليه في هذه الدنيا.

ويعلق هشام العوضي على تقنية الاستنساخ، بأنه على الرغم من حداثة الموضوع وغموض الكثير من جوانبه إلا أن هذه القضية، إلى جانب قضايا أخرى مماثلة كالإجهاض، وقتل المريض بحجة اليأس من شفائه، وإخصاب بويضة الزوجة بماء رجل أجنبي؛ كلها تشترك في بعد واحد يتمثل في " انقطاع صلة هؤلاء الناس بالله، وغياب الأمل بحياة أخرى تتعوض فيها كل هذه الآلام من عقم، وأمراض..إلخ. فالكثير من

هؤلاء الناس غير قانعين بالكيفية التي خلقه الله فيها، ويريد أن يفصل خلقه حسب مزاجه، وحسب هواه، ومن هنا كان رواج عمليات التجميل في الغرب، وهي عدوى انتقلت حديثا إلى الشرق أيضا."، وهناك أمر آخر يتعلق بإساءة الغرب لفهم معنى الحرية التي تدفعهم إلى فعل ما يرغبون فيه دون أن يفكروا في الأرواح البريئة التي يزهقونها باسم العلم. ونجدهم لا يتقبلون هذه الأفكار باعتبارها أخلاقيات و لايدركون حتى الآن مدى حاجتهم إليها من أجل التخفيف من حدة إنجازاتهم التي لا ترضي سوى العلماء المدمنين للتجارب من أجل التجارب (العوضي في المجتمع، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ع ١٢٤٢، ص ٣٥).

كذلك ينبغي على التربية أن تنبه المرأة المسلمة المعاصر إلى انتكاس الفطرة لدى المرأة الغربية المعاصرة، التي أصبحت ترى في الأمومة موضة قديمة، لا تتناسب مع العصر الحاضر. فقد أشارت الدراسات الإحصائية لمراكز إحصاء السكان في بريطانيا لعام ١٩٩٥م أن ٢٠٪ من النساء المولودات في الستينيات والسبعينيات والثمانينيات لن يصبحن أمهات إطلاقا؛ لأن الأمومة أصبحت في نظرهن تمثل موضة قديمة. (السالب والموجب في اليمامة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ع ١٤٤٧، ص ٨٢)، وينطبق الأمر نفسه على كثير من المجتمعات المتقدمة التي تشكل فيها النساء غير الراغبات في الحمل نسبة عالية، لكنهن في الوقت نفسه يرغبن في الحصول على طفل؛ مما يلجيء العلماء إلى التفكير في تحقيق رغباتهن، حتى وإن تعارضت مع القيم والأخلاق (السالب والموجب في اليمامة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ع ١٤٤٧، ص ٨٣).

٢- التقنية الحديثة والغذاء:

في ظل العادات الاستهلاكية التي تشيع في المجتمع الإسلامي في الوقت الحاضر بفضل التأثر بالقيم المستوردة، وفي ظل المناسبات الكثيرة التي يفيض عنها كثير من الأطعمة، إلى جانب أن كثيرا من الأسر تفضل شراء حاجياتها أسبوعيا أو شهريا لظروفها الاجتماعية التي لا تمكنها من استيفاء حاجاتها يوميا، إلى غير ذلك من الأسباب، فإن المرأة المسلمة المعاصرة تحتاج إلى أن تتعلم سبل الحفاظ على الأطعمة بحيث لا تفقد قيمتها الغذائية.

ومن ثم فإنه ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة إمدادها بالخبرات اللازمة في مجال

التغذية ومن ذلك ما يتعلق بحفظ الأطعمة، واستخدام المعلبات. وتنبيهها في الوقت نفسه إلى الأخطار التي يمكن أن يتعرض لها أفراد الأسرة من وراء خطأ بعض الممارسات التي تشيع في مجتمعاتنا بسبب الجهل وقلة الوعي ومن ذلك:

١- استخدام أوراق الصحف في لف الأطعمة، حيث تكمن الخطورة هنا في حبر الطباعة.

٢- الأكياس البلاستيكية وخاصة السوداء، والتي وجد أن لها دورا في الإصابة ببعض الأمراض الخطيرة كالسرطان، وبعض أمراض الجهاز الهضمي، وأنها تزيد من نوبات الربو والحساسية للجهاز التنفسي خاصة عندما يتم حرقها. (الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٥٩٩٥).

وحيث إن الطعام يمثل الطريق الأساسي لانتقال كثير من الكيماويات إلى أجسادنا، فإن برامج تربية المرأة المسلمة المعاصرة لابد وأن تتضمن توعيتها بسبل الوقاية من ذلك.

فقد وجد أن للمخلفات الصناعية والمبيدات الحشرية أثر على النظام الهرموني للإنسان، يؤثر على المدى البعيد على خصوبته، وقدرته على الإنجاب. وهذه المواد تؤثر على الإنسان من خلال تناوله للأغذية المستمدة من مصادر حيوانية أو نباتية تكون قد تأثرت بهذه المواد، أو نتيجة لقذف نفايات المصانع إلى مختلف البيئات المائية، وانتقالها إلى الكائنات الحية بطرق مباشرة أو غير مباشرة. (النجار، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ٩١).

٣- التقنية الحديثة والجمال:

يعتبر التجميل صناعة العصر الحديث. حيث أصبح هناك فرق بين مفهومها في السابق ومفهومها الحالي.

ففي السابق كانت جراحة التجميل تعتبر من الأساليب العلاجية التي تجري من أجل إصلاح التشوهات الولادية والتشوهات الناجمة عن الحوادث المختلفة كالحروق وغيرها. لكنه تطور مع الزمن حتى أصبح بالإمكان - في ظل التقنية الحديثة - القيام بعمليات دقيقة هدفها التجميل باعتباره علما وفنا، حيث يمكن بواسطته تحسين الشكل وتغيير الملامح. فأصبح التجميل سلعة تجارية رابحة جدا في أيدي الجراحين، ومن ثم بدأ هناك سباق محموم في المجال بين شركات الليزر وشركات التجميل بغرض الاستثمار

المادي السريع (جراحة التجميل.. في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦١٤٥).

ونجد أن جراحة التجميل في الغرب قد خضعت في الوقت الحاضر لحملات دعائية كبيرة إلى درجة تحد من مصداقيتها كمنهج علمي يقوم على أساليب قانونية موثوقة، الأمر الذي دعا الكلية الملكية البريطانية للجراحين إلى تحذير المواطنين من الوقوع في مصائد الإعلام التجاري الذي تتبعه مؤسسات التجميل الحالية، حيث قد وجد من بين الأطباء من يحاول تعويض ثمن الأجهزة التي اشتراها بأي شكل. (جراحة التجميل.. في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦١٤٥).

وتشير الإحصائيات الواردة من هناك إلى أن ٩٥٪ من جراحات التجميل التي تجرى حاليا؛ هي من أجل تحسين أو تبديل الشكل دون ضرورة طبية ، بل من أجل إرضاء رغبات نفسية من قبل نساء راغبات في الكمال الجسدي [١]. الأمر الذي علق عليه أحد الأطباء النفسيين بقوله: (إن من يحب ذاته وجسده بشكل كبير ويعطيهما الاهتمام الأول، لايمكن أن يكون معطاء بالقدر الذي يكون فيه شخص آخر. " (جراحة التجميل.. في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦١٤٥).

ومما يؤسف له أن من بين النساء المسلمات من اندفعن وراء هذه - الموضة - على غرار اندفاعهن وراء غيرها من الموضات - حيث تشير المصادر الى أن لبنان يعد في مقدمة الدول العربية التي استفادت من التقنية الغربية في مجال التجميل، حيث بلغت نسبة من أجرين جراحات التجميل وفقا للإحصائيات الرسمية ٤٧٪ ، وأن ٦٠٪ منها من أجل تجميل الأنف تليها عمليات تجميل الشفاه [٢] (الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م،

---

(١) من بين الغربيات من باعت منزلها لإجراء جراحة تجميل. ومنهن من خضعت لـ (١٥) عملية تجميل قبل أن تقتنع بشكلها. وتشير الإحصائيات إلى أن الغالبية العظمى من النساء يقبلن على إجراء عمليات معينة مثل تصغير الأنف، وشد الوجه، وتصغير أو تكبير الثدي، وإزالة التجاعيد (الخطيب .. في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦١٤٥).

(٢) تذكر المصادر أن غالبية القائمات بهذا النوع من الجراحة هن من الفنانات، ونساء الطبقة الراقية ، لكن الممرضة آمال حداد من مستشفى أبو جودة بشرق بيروت، تشير إلى أن هذه الجراحة قد أصبحت الآن لا تقتصر عليهن، حيث تعمد بعض النساء من العامة إلى توفير النقود من أجل إجراء مثل هذه الجراحة. (نصف نساء لبنان .. في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦١٥٧).

ع ٦١٥٧).

فلابد من توعية المرأة المسلمة المعاصرة بحقيقة هذا الفن ومدى توافقه مع القيم الإسلامية من عدمه، وذلك لأن تجميل الشفاه [٢] إن هو إلا مصطلح حديث لفن قديم. فهو الوشم الذي نبه الرسول ﷺ إلى استحقاق من يفعلنه للعن والطرد من رحمة الله لما فيه من تغيير لخلقة الخالق سبحانه وتعالى.

ونجد من بين عقلاء الغربيين من انتقد هذا النوع من الجراحة ومن بينهم الباحث جون ويلمز الذي يقول:

" من الأفضل تسخير التقنيات والأموال التي تصرف في المراكز التجميلية، في أغراض طبية مفيدة. فكثير من الأمراض القاتلة للجنس البشري تحتاج إلى مزيد من البحث، وكثير من الأمراض المشوهة تنتظر بحوث أطباء التجميل أنفسهم.

إن أقل شيء يستطيع أطباء التجميل فعله؛ هو البحث في الأمراض الجلدية المشوهة للإنسان مثل داء الفقاع، والصدف والحزاز ... إلخ. ولا يستطيع الأطباء تحقيق ذلك إلا إذا ساروا بمنهج علمي موثوق، وبرغبة ذاتية تعتمد على روح البحث العلمي وليس الهدف المادي (جراحة التجميل.. في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦١٤٥).

ومن الصرعات التي أبدعتها التقنية الحديثة في مجال الجمال أيضا؛ تغيير لون البشرة، وذلك باستخدام المستحضرات التي انتشرت في الأسواق والتي يحذر كثير من الأطباء من استخدامها، الأمر الذي قاد رئيس جمهورية جامبيا (يحيى جامع) إلى إصدار قرار يحرم تغيير اللون البشري، وينذر من تقوم بذلك من النساء بالعقاب الذي يصل إلى حد الفصل من العمل إذا ما كانت عاملة. (منع البياض القسري.. في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦١٦٢).

وقد عمد الرئيس الجامبي إلى إصدار هذا القرار بعد أن انتشر بين نساء جامبيا مستحضر يسمى (خيصل)؛ وهو مزيج من مواد التجميل وقطع الزجاج، تستخدمه الأفريقيات ليصبحن أكثر بياضا، دون الالتفات لمخاطره الكثيرة، والتي من بينها تسببه في إحداث فقاعات بيضاء في وجوه الأفريقيات. (منع البياض القسري.. في الشرق

---

(١) المقصود بتجميل الشفاه هنا ؛ هو الوشم الحديث والذي يتحدد فيه شكل الشفتين والعينين، ثم ينقش عليهما بالإبر، ويحشى الموضع باللون الملائم (المطلوب)، فتصبح العينان كحيلتين على الدوام، وتصبح الشفتان دائمتي الحمرة. (مدني، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ٢٧٦).

الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦١٦٢).

ونجد أن هذه النتائج السلبية قد حدثت أيضا مع المغني الأمريكي مايكل جاكسون، الذي عمد إلى تغيير لون بشرته مستخدما مادة كيميائية حارقة – الفينول – فأصبحت معاناته أسوأ حيث تعرض لتشوهات أصبح من المستحيل علاجها. (الجميلة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ع ١٥، ص ٦٩).

فينبغي الاهتمام بتوعية المرأة المسلمة المعاصرة بخطأ مثل هذه الممارسات التي تدل على إصابة النفس بمرض عدم الرضا عن الذات، وكيف أن الجمال الجسدي لا يمثل سوى جانب واحد من جوانب الجمال، في حين أن هناك جوانب جمالية أهم منه وهي ما يتعلق بجمال الروح وجمال الخلق وجمال العقل والتي تدل على كمال شخصية صاحبها.

ولابد أن تؤكد التربية في نفس المرأة المسلمة المعاصرة أهمية الاعتزاز بانتمائها إلى الإسلام الذي يعمل على الحفاظ على توازنها النفسي، حين يجعل حياتها محكومة بآداب معينة، وهيئتها داخل المنزل وخارجه محددة بشكل معين، يبعدها عن الانزلاق وراء الأهواء والشهوات، ويجعلها دوما ساعية نحو ابتغاء مرضاة الله في سلوكياتها العامة والخاصة.

كذلك فقد أبدعت التقنية الحديثة ما يسمى بالعدسات اللاصقة وهي نوع خاص من اللدائن (البلاستيك) المصنع طبيا بإشراف ومواصفات خاصة. (المدني، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ص ٢٤٥).

وقد عرفت العدسات اللاصقة كوسيلة للعلاج الطبي ومعالجة قصر النظر. كما عرف استخدامها على نطاق واسع في مجال الزينة وذلك باستخدام النوع الملون منها.

ويعتبر الأطباء أن ارتداء العدسات اللاصقة يمثل ضرورة في بعض الحالات مثل قصور النظر الشديد، خاصة لدى الشباب، وكذلك في حالة اختلاف قصر النظر بين العينين، وكذلك بعد إجراء عملية. (المدني، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ٢٤٥).

هذا فيما يتعلق **بالجانب الطبي** من الموضوع.

أما فيما يتعلق **بالجانب الجمالي** فإنه ينحصر بصفة خاصة بالعدسات الملونة التي وجد أن استخدامها يكون غالبا ضمن نطاقين:

١- مجرد الرغبة في تغيير لون العين.

٢- في حالات نادرة جدا؛ يولد بعض الأشخاص بعينين مختلفتي اللون، مما يحتاج معه الشخص إلى وضع عدسة على إحدى العينين لتلوينها بلون العين الأخرى. (المدني، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ٢٤٧).

ونجد من بين المسلمات من اندفعت _ بسبب غفلتها عن إدراك الغاية من وجودها _ إلى تقليد نساء الشرق والغرب فيما يتعلق بالعدسات اللاصقة، فراحت تستعملها من أجل تغيير لون العين بما يتناسب والموضات المتغيرة، أو لون الملابس.

ويشير د.سامي نعمة أخصائي جراحة العيون إلى أن العدسات اللاصقة - الملونة وغير الملونة - كلها غير مثالية مهما ارتفع ثمنها، وذلك لأنها تلتصق بقرنية العين وتمنع عنها الأكسجين، وأنه كلما مر الزمن عليها كلما ازداد خطرها على العين، وازدادت إمكانية إصابة العين بالأمراض مثل الالتهاب والخراج والقرحة؛ ولذلك نجده يوجه بأهمية تنظيف العدسات وإجراء الفحص عليها دوريا، وهويصف العدسات الملونة بـ (الجمال المضر)، ويعتبر استعمالها دون مراعاة للمبادئ الصحية، أمر قد يعرض الإنسان لخسارة عينيه. (جراحة التجميل.. في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥ م، ع٦١٤٥).

فلابد من تقديم المعرفة الصحية اللازمة التي تساعد المرأة المسلمة المعاصرة على التمييز بين الصواب والخطأ فيما يتعلق بهذا الأمر. وكيف أن العدسات الملونة إلى جانب مخاطرها الصحية فإنها يمكن أن تنطوي على مخالفة شرعية واضحة تتمثل في تغرير الآخرين بلون العين خاصة إذا كانت من تضعها فتاة يتعرض لها الخاطبون، إلى جانب أن الإسراف في هذا الأمر يعد من التبذير الذي وصف القرآن الكريم أصحابه بأنهم ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ [الإسراء:٢٧] .

وأهم ما يجب التأكيد عليه؛ هو تنبيه المرأة المسلمة المعاصرة من الانخداع والوقوع في الفخاخ التي يحاول الشيطان أن يوقعها فيها، حيث إنه قد توعد بني آدم بالإغواء ومن ذلك تغيير خلق الله. وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ [النساء:١١٨] .

فلابد أن تتنبه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أن هذا الهدف الشيطاني هو واقع ومحقق فعلا لدى من تعمد إلى إجراء عمليات التجميل بغرض تغيير خلقة الله، أو من تعمد إلى لبس العدسات اللاصقة أو الكعب العالي... إلخ بغرض الإغراء والتغرير. فمثل هؤلاء ينطبق عليهن وصف الغواية التي تتيح المجال للشيطان في التسلط عليهن، إلا من رحم الله، وفي ذلك يقول سبحانه و تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحجر].

٤- الأشعة بمختلف أنوعها:

في ظل الاستخدام المتزايد للأشعة في كافة المجالات الحياتية؛ عمل الباحثون على البحث في الآثار التي تتركها الأشعة على صحة الإنسان على المدى البعيد، وكيفية تجنب ذلك أو محاولة التخفيف منه.

فمثلا أكدت نتائج أحد الأبحاث العلمية أن تعرض الأم الحامل للإشعاعات الموجودة حولنا في كل مكان يمكن أن يتسبب في تشوهات للأجنة قد تؤدي إلى موتها قبل أو بعد الولادة. ومن ثم جاء التحذير للأمهات من الجلوس طويلا أمام شاشة التلفاز، حتى لا تؤثر إشعاعاته على الجنين، ملفتين النظر إلى أن الجلوس أمام التلفاز يتسبب في ضعف الإبصار لدى الأطفال. كما أنه يؤثر سلبيا على صحة الإنسان على المدى البعيد بسبب جلوسه ضمن مجاله الكهربائي المغناطيسي. (كجك، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ١٢٤).

ومن الاستخدامات الحديثة للأشعة، استخدامها في فرن المايكرويف الذي يساعد على تحضير الطعام بسرعة. فقد وجد أن من سلبياته احتمال تسرب الأشعة من جوانب الباب، وكذلك استهلاكه لكمية كبيرة من الكهرباء. وهذا ما دعا العلماء إلى محاولة تطويره من أجل تفادي هذه السلبيات. وتعدى الأمر ذلك إلى محاولة إنتاج أفران تجمع بين سرعة المايكرويف والشكل التقليدي للطعام الخارج من الأفران العادية التي تعمل بالغاز أو الكهرباء، حيث توزع الموجات في عدة اتجاهات، بدلا من تركيزها على مكان معين بالفرن كما كان الحال في السابق. (مجلة الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٤٨٢، ص ٣٥). وعلى الرغم من هذه المحاولات التي يجريها العلماء في الحد من آثار المايكرويف السلبية على صحة الإنسان، إلا أن التجارب تؤكد على أن الإشعاعات يمكن

أن تتسرب محدثة أضرارا بالغة، وأنه لابد من استخدام هذا الجهاز على مسافة معينة باعتباره ناقلا للموجات(عكاظ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ع ١٠٨١٣).

وهناك الحقول الكهرومغناطيسية، التي لا يقتصر وجودها حول خطوط النقل الكهربائي للتوتر العالي فقط، بل وحتى خطوط الوصل للمعدات والأدوات المنزلية العادية، التي يمكنها جذب الجزيئات الإشعاعية لغاز (الرادون) المسبب للسرطان. (عكاظ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ع ١٠٨١٣).

وقد قام الدكتور دي لوميس وبعض الباحثين في جامعة شمال كارولينا بأمريكا في عام ١٩٩٤م/ ١٤١٤ هـ بإجراء دراسة على النساء اللاتي توفين عن عمر يناهز العشرين فما فوق بسبب سرطان الثدي خلال الفترة من ١٤٠٥- ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٥- ١٩٨٩م ، واللاتي تبين ملفاتهن طبيعة أعمالهن وتخصصاتهن. وأظهرت نتائج الدراسة أن نسبة سرطان الثدي تزيد بين العاملات في الكهرباء واللاتي يتعرضن لمجالات كهرومغناطيسية عالية بنسبة ٤٠٪ على اللاتي لا يتعرضن لهذه المجالات القوية. (الاقتصادية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ع ١٠٠٢).

كما أظهرت نتائج الأبحاث التي أجريت على السكرتيرات في الولايات المتحدة الأمريكية، أنهن أكثر عرضة للإصابة بسرطان الثدي والمبايض، لكونهن يعملن في وسط تحيط به الأجهزة الكهربائية من كل ناحية، مثل الكمبيوتر، منظم الجهد، أجهزة الفاكس والتصوير، أجهزة الاتصالات، ومكائن الطبع الكهربائية، والتي تعد من أكثر الأجهزة الكهربائية مجالا مغناطيسيا. (الاقتصادية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ع ١٠٠٢).

وتشير بعض الدراسات إلى أن التعرض للمجالات الكهرومغناطيسية يشجع ويقوي نمو الخلايا السرطانية بما يتراوح بين ١٠-١٥٪، وذلك إنما يتوقف على عدة عوامل من أهمها: اختلاف الناس من حيث المناعة، وطبيعة التكوين، والعمر والنوع. حيث إن الأطفال ثم النساء أقل تحملا للمجالات الكهرومغناطيسية؛ لأن خلايا الطفل أضعف، وجمجمته تظل مفتوحة إلى سن الثانية عشرة، ومقاومته للكهرباء أقل بكثير من الكبار (الاقتصادية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ع ١٠٠٢).

ولذلك وجدنا من بين نتائج البحوث ما يحذر من نوم الأطفال في غرف مكتظة بمعدات كهربائية، لأن ذلك يجعلهم أكثر عرضة من غيرهم للإصابة بأمراض السرطان.

(عكاظ / ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ع ١٠٨١٣).

وأخيرا هناك الليزر[١]، الذي - إلى جانب استخداماته في مجالات الطب وغيرها- قد أصبح اليوم يستخدم وعلى نطاق واسع في الاستعراضات وفي مجال الدعاية والإعلان.

وكلمة (ليزر) " مكونة من الحروف الأولى لعبارة باللغة الإنجليزية[٢] تعني تضخم الضوء بوساطة الانبعاث المثار للإشعاع. وهذه العبارة تصف ما يحدث داخل جهاز الليزر " (وصفي، د. ت، ص٣٠) .

والليزر ذو طاقة هائلة مروعة؛ حيث يمكنه إطلاق طاقة تعادل طاقة الشمس، وتتميز بإمكانية التحكم فيها. ومن بين استخداماته المفيدة؛ الاستفادة منه في إجراء العمليات الجراحية الدقيقة، خاصة في العين البشرية، كما يمكنه إحداث ثقوب في ألواح الصلب السميكة، وتدمير الأهداف المعاديـة في الحروب (وصفي، د. ت، ص ٢٩).

وقد وجد " أن الليزر المستخدم عادة في الاستعراضات والذي تبلغ طاقته أربعة واط[٣]، يمكنه إنتاج أشعة بشدة مائة ألف واط بالمتر المربع عند مروره عبر بؤبؤ العين الذي يبلغ قطره سبعة مليمترات " إذا ما تجاوزت فترة النظر إليه زمنا محددا (احذر الليزر.. في مجلة العالم، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ٥٥٤، ص ٥١).

ومن ثم فإنه ينبغي الاهتمام بتوعية أفراد المجتمع بصفة عامة، والمرأة المسلمة المعاصرة بصفـة خاصة، بالأخطار التي يمكن أن تهدد صحتها وصحة أفراد أسرتها بسبب الأنواع المختلفة من الأشعة، بما يعينها على التزام سبل الوقاية والأمن لها ولأفراد أسرتها، سيما وأن استخدام أشعة الليزر بصفة خاصة قد انتشر انتشارا كبيرا بحيث أصبح

---

(١) **الليزر** عبارة عن ضوء أحادي الموجة يعكس الضوء العادي الذي يحتوي على موجـات مختلفـة بـسبب ألـوان الطيف الشمسي التي يحتويها. وخاصية الليزر هذه تزيد من خطورة أشعته بسبب تمركز الطاقـة ضـمن طـول موجي واحد. وهذا مما ينتج التأثير الملحوظ وهو انطلاق أشعة الليزر بخط مستقيم وبلون واحد وبـدون أي تشتت يذكر؛ لهذا فإن سقوط أشعة الليزر على عين المشاهد يمكن أن يؤدي إلى تدمير شبكية العين ثـم العمـى المؤقت أو الدائم . (مجلة العالم، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ع ٥٥٤، ص ٥١) .

(٢) " LASER " light amplification by stimulated emission of radiation.

(٣) **الواط**: وحدة القوة الكهربية اللازمة لإمرار تيار قدره أمبير واحد تحت ضغط فولـت واحـد، **والفولـت** هـو وحدة قياس القوة التي تدفع التيار الكهربي خلال الموصل، والقوة الكهربية (عدد وحدات الواط) في الـدائرة = عدد وحدات الفولـت × عـدد وحـدات الأمبـير. (الموسـوعة العربيـة الميـسرة، د. ت، ص ١٣٦، ص ١٩٤٠).

يستخدم في المناسبات والاحتفالات العامة، مما يمكن معه لأي فرد أن يتعرض لتأثيراته.

ونجد أن بعض المنظمات العالمية، ومنها وكالة الحماية الإشعاعية الوطنية البريطانية، قد بدأت مؤخرا في دراسية مخاطر هذه الأشعة وإعطاء توصيات حول مكامن الخطورة، للشركات التي تستخدمها في الاستعراضات، حيث لوحظ على هذه الشركات أنها تستخدم الليزر دون معرفة مسبقة بمواصفات السلامة والأمن التي تمنع أو تحد من آثاره السيئة على المشاهدين. (احذر أشعة الليزر.. في مجلة العالم، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ٥٥٤، ص ٥١).

كذلك بدأت بعض الدول ومنها الولايات المتحدة الأمريكية والدول الاسكندنافية[١] في وضع قوانين تمنع توجيه الليزر نحو المشاهدين حفاظا على سلامتهم. ونجد المختصين يوجهون النصح للمشاهدين بعدم النظر المباشر إلى مصادر هذه الأشعة. (احذر الليزر.. في مجلة العالم، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ع ٥٥٤، ص ٥١).

وإمداد المرأة المسلمة المعاصرة بالخبرات اللازمة في مجال الأشعة من حيث مجالات استخدامها وآثارها الإيجابية والسلبية، يساعدها على إحسان الاستفادة منها بحيث لا تتجاوز في ذلك الحد الذي يمكن أن يشكل خطرا على صحتها أو صحة أفراد أسرتها.

٥- التقنية الحديثة ووقت الفراغ:

عملت التقنية الحديثة على منح المرأة المعاصرة الكثير من أوقات الفراغ التي كانت تقضيها في السابق في أعمال المنزل[٢] - والتي لا تنتهي - فجاءت الأدوات المنزلية الحديثة، والإنتاج الآلي للأطعمة المخبوزة والمحفوظة والمجمدة؛ لتعفي النساء من القيام بكثير من المهام التي كن يقمن بها في السابق.

وقد عمدت التقنية الحديثة أيضا إلى إيجاد كثير من الوسائل لشغل هذا الفراغ منها ما

---

(١) SCANDINVIA: هي عبارة عن البلاد الثلاثة التي تقع شمال غرب أوروبا، وتعرف بالسويد، والنرويج، والدانمارك، وتربط بين سكانها صلات قوية، كما أن لغاتهم متشابهة. (دائرة معارف الناشئين، د. ت، ص٢٩).

(٢) مازالت الكثير من النساء لدينا لا تحسن الاستفادة من وقتها، حيث نجدها بدلا من استغلال وقت الفراغ فيما يفيد، تقضي وقتها في أعمال المنزل - كما كانت في السابق - رغم توفر الأجهزة الحديثة. ولعل السبب في= = ذلك يكمن في ارتفاع مقاييس النظافة كثيرا مما يجعل المرأة تقضي وقتا أطول في غسل الملابس وتنظيف المنزل.

هو مفيد فعلا، ومنها ما يهدف إلى تعزيز المصالح التجارية. وهنا تكمن أهمية تقديم الخبرات، وإكساب المهارات اللازمة للمرأة المسلمة المعاصرة، بحيث تتمكن من استغلال أوقات فراغها فيما يعود بالخير عليها وعلى أسرتها ومجتمعها.

وفيما يلي نورد بعض الأمثلة لما تقدمه التقنية الحديثة من خدمات توفر كثيرا من الوقت والجهد وتساعد المرأة على إنجاز مسئولياتها بيسر وسهولة.

أ- التصاميم المعمارية:

فقد دخل الكمبيوتر مجال التصاميم المعمارية، حيث راجت في الوقت الحاضر فكرة تسخير خدماته من أجل تجسيم واقع المباني. فربة المنزل يمكنها الاستفادة من ذلك مثلا؛ في رؤية مطبخ المستقبل، حسب تصوراتها عنه، حيث يمكنها بواسطة الكمبيوتر رسم ملامح المكان ومواقع الأثاث والأجهزة المختلفة، والتعديل في التصميم بحسب الرغبة. (مجلة الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م، ع ٤٨١، ص ٣٣).

وهذا الابتكار يوفر كثيرا من الوقت والجهد الذي قد تقضيه المرأة وهي تبحث عن تصميمات ملائمة.

ب - وصل الأجهزة المنزلية:

بفضل التقنية الحديثة؛ تمكن العلماء من إيجاد نظام اتصالات يمكن بواسطته وصل الأجهزة المنزلية مع بعضها عبر خطوط هاتفية أو كابلات كهربائية أو الأشعة فوق الحمراء. وهذه الاتصالات تعمل على تبسيط التحكم والمراقبة عن بعد، وتفيد كثيرا في مراقبة ما يحدث في أحد الأماكن أثناء التواجد في مكان آخر. وأهم المجالات الحيوية التي يمكن استخدام هذا النظام فيه، هو توفير حياة وسلامة المسنين والمعاقين من خلال التحكم عن بعد في درجات حرارة الجو، وضبط الأجهزة المنزلية الموجودة في غرفهم ضمانا لسلامتهم. (التحكم من بعد.. في الشرق الأوسط، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦٠٧٠).

ج - التسوق عبر التلفاز:

التسوق عبر التلفاز عبارة عن خدمة جديدة مكنت التقنية الحديثة من تقديمها للمشاهدين في منازلهم. وما من شك في أن هذه الخدمة تعزز الأنماط الاستهلاكية الشائعة في الوقت الحاضر بفضل النمط الاقتصادي الغربي الذي انتشر في أرجاء العالم كافة.

لكن التربية يمكن أن ترشد هذه الخدمة، وذلك من خلال توجيه المرأة المسلمة

المعاصرة إلى كيفية الاستفادة منها بما يوفر عليها الوقت والجهد في البحث عن احتياجاتها من السلع المختلفة. بحيث تعمل في الوقت نفسه على تنبيهها إلى ما لا يتلاءم معنا مما يسهم في تعزيز الأنماط الاستهلاكية.

ونجد أن خدمة التسوق عبر التلفاز قد تطورت عبر الأقمار الصناعية فيما أطلق عليه اسم Satellite shopping حيث يتم ارتداء جهاز منظار ينتقل بالشخص إلى داخل المحل، بحيث يطوف بين الممرات، ويتعرف على البضاعة، ويتحسسها بشكل مجسم تظهر فيه ثلاثية الأبعاد في الصورة الإليكترونية. (مجلة الشرق الأوسط، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ع ٤٨٣، ص ٤٠).

فمثل هذه الخدمة إذا ما توفرت في المجتمع المسلم فإنها يمكن أن توفر على المرأة المسلمة المعاصرة مشقة التوجه إلى المحلات التجارية، وعناء الازدحام إلى جانب إتاحة الفرصة لها للاختيار بين المعروضات بسرعة.

خامسا: دور التربية في إعداد المرأة المسلمة المعاصرة بما يساعدها على مواكبة عصرها:

إن الناظر في القرآن الكريم يجد أنه يوجه العقول إلى استخدام أنواع النظر العقلي المختلفة؛ مباشرا وغير مباشر، وذلك من أجل معرفة القوانين العامة التي تسير الوجود.ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ [الحشر:٢].

ونجد السنة النبوية أيضا تحث الفرد المسلم على تحصيل الحكمة: حيث يقول ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: " الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها." (الترمذي، د.ت، ج٤، العلم/ ١٨، ص٤٩).

وتؤكد آيات القران الكريم على أهمية توجيه الإنسان في كل نشاطاته لينطلق من الأسس القيمية والضوابط الأخلاقية التي تحفظ له كرامته وإنسانيته وسموه، وتقيه من الانحطاط عن مرتبته. ومن ثم نجدها وهي تعرض لنا قصص الحضارات السابقة، تؤكد على أن السبب الأساسي في اندثارها هو الفساد العقدي والقيمي والانحراف عن الشرائع الإلهية. كما في قصص قوم لوط، وقوم هود، وقوم عاد.

وبذلك تحدد لنا آيات القرآن الكريم الميزان الذي ينبغي أن توزن به الحضارة لمعرفة مدى صوابها من انحرافها؛ وهو التوحيد والالتزام بقوانين الفطرة وقواعد الأخلاق.

فإذا كان إنسان الحضارة الغربية يستمد أفكاره ونظرياته ونظمه من واقعه فحسب،

فيستخلص منه الأفكار والقيم وأنماط السلوك التي تنظم حياته، فإن المجتمع المسلم على العكس من ذلك، يجب عليه أن يحاول دائما أقلمة الواقع وفقا لتصوره العقدي النابع من شريعته الموحاة من عند الله سبحانه وتعالى (عارف، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ص٥٤).

من ثم فإنه ينبغي توجيه أفراد المجتمع المسلم إلى الأسس الصحيحة للتقدم، الذي لابد لهم من الأخذ بسبله بحيث ينطلقون من العقيدة، يصاحبها الفقه الشرعي الحضاري من أجل معالجة قضايا العصر بعقلية متفتحة قادرة على الإفادة من منجزات الإنسانية النافعة، والارتقاء بالإنسانية إلى الآفاق السامية المطلوبة.

لقد أصبح العالم اليوم أقرب ما يكون إلى منتدى حضاري تشترك في عضويته الأمم المختلفة، مما دعا إلى التقائها حضاريا لقاء يستدعي الحفاظ على الهويات الحضارية المتميزة لأسباب عقدية ووطنية لها دورها في إنهاض أمم كثيرة أو تراجعها؛ ولأن هذا الالتقاء أمر حتمي؛ فإنه ينبغي التعامل معه بحذر كما كان الحال في القرون الأولى حين التقى المسلمون بالحضارات الأخرى فأخذوا منها ما هو مشترك إنساني عام وتركوا الخصوصيات، وكما هو حال الحضارة الغربية المعاصرة التي أخذت عن الحضارة الإسلامية عمومياتها، في حين رفضت أبرز خصائصها وهو التوحيد، الأمر الذي أكسبها الطابع المادي الذي يسيطر عليها الآن (السايح، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ١٢٢-١٢٧).

وأهم ما ينبغي الاستفادة منه من منجزات التقنية الحديثة، هو ما يتعلق بمجال التعليم، حيث نجدها قد أثمرت عن كثير من المنجزات التي عملت على تحديث أساليب التعليم القديمة وأثرت على أهداف التعليم، وزادت من حجم المعرفة العلمية التي يجب أن تنقلها الأنظمة التعليمية للمتعلمين.

لكننا ومع الأسف نجد أن المؤسسات التربوية في كثير من البيئات الإسلامية مازالت تستخدم طرقا بدائية بعيدة عن الإفادة من التقنية الحديثة في مجال المعلومات؛ حيث يقضي الطالب شهورا عديدة في البحث والتنقيب عن معلومات معينة في كتب التراث؛ يتحصل عليها طالب الدول الغربية في دقائق معدودات بفضل التقنية الحديثة التي يسرت سبل خزن المعلومات واسترجاعها.

ونجد بين المؤسسات التعليمية في الدول الغربية اليوم ما تملأ فصولها بالآلات التي توفر كثيرا من الخدمات في تيسير سبل إيصال المعلومات إلى المتعلمين وشحذ أذهانهم [1]. في حين لا يزال المجتمع الإسلامي يعاني من الأمية التي تشيع في أرجائه؛ خاصة بين النساء. (الصقير في العربي، ١٤٠٥هـ/ ١٩٩٥م، ع ٤٣٨، ص ١٦٢).

ومن ثم فإن على التربية الاستفادة من التقنية الحديثة في الارتقاء بمستوى المرأة المسلمة المعاصرة، بحيث تعمل على محو أميتها الأبجدية أولا؛ ثم تنطلق إلى محو أميتها الحضارية، وذلك من خلال اعتماد التقنية الحديثة في تقديم المعرفة والمعلومات، وتدريبها على استخدامها للارتقاء بنفسها في كافة المجالات، وكذلك استثمار وسائل الاتصال التي وفرتها التقنية الحديثة، من أجل تقديم المعارف والخبرات اللازمة في إطارات جديدة جذابة ومشوقة تساعد على تكوين عقلية المرأة المسلمة المعاصرة بما يجعلها متطلعة، مرنة، قادرة على الاستجابة لمتغيرات العصر.

إن الأنظمة التعليمية في جميع دول العالم " قد تعرضت لضغط رهيب من أجل القيام بتدريب واسع الاختلاف في نوعه لعدد من الناس يتزايد باستمرار. " (تاريخ البشرية، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م، مج ٦، ج٢، ص ٣٥٢)، والتربية في إعدادها للمرأة المسلمة المعاصرة لمواجهة العصر، تحتاج إلى أن تلتزم بمتطلبات المجتمع الإسلامي ومقوماته، مستندة في ذلك إلى القيم الإسلامية الضابطة للمجتمع وأفراده، مع الحرص في الوقت

(١) بعض الدول المتقدمة، أنشأت ما يسمى بالجامعة المفتوحة التي تعتمد على التلفاز في بث المحاضرات، كما في بريطانيا والصين. (عكاظ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ع ١٠٩٩٢).

نفسه على المشاركة في صنع وتبادل المعلومات بما ينسجم مع عصر المعلومات الذي نعيش فيه، وذلك من أجل الانتقال من القشور التي يتيحها لنا الآخرون إلى اللب، حفاظا على كياننا الثقافي من التهديد.

لقد أدركت الدول المتقدمة أن التربية لديها ما تزال متخلفة عن التقنية، ومن ثم اجتهدت في توليد أنظمة جديدة من خلال إعادة النظر في بنيتها وأنظمتها التربوية. وما يصدق على تلك الدول يصدق علينا، مع فرق كبير يتمثل في أن الداء لدينا مزدوجا، حيث يشمل التخلف لدينا جميع المجالات الحياتية. (عبد الدائم، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص ٨)، ومن ثم فإنه ينبغي على التربية أن تعمل على تقديم الفتاة لنوع جيد من التعليم، بحيث يعدها لدخول أي ميدان يحتاجها فيه المجتمع، ويعرفها بالعلم والتقنية، ويحفز قدراتها على التطوير والتجديد الذي لا يخرج عن إطار ثقافتها ويواكب العصر في الوقت نفسه.

وهناك أمور مهمة ينبغي مراعاتها في التعليم الذي يقدم للمرأة المسلمة المعاصرة وهي:

أ- أن يكون التعليم منظما على نحو يمنعها من التوقف عن الدراسة قبل الأوان.

ب- بالنسبة للراشدات، فإنه ينبغي على التربية أن توفر لهن الفرص التعليمية والتدريبية التي تساعدهن على التغلب على أميتهن الأبجدية والحضارية.

ج- مراعاة (الاقتصاد الثقافي) والذي يعرفه عفيفي على أنه يمثل استخدام وسائل العلم الحديث في نقل أكبر قدر من المعلومات في أقل وقت ممكن دون الحاجة إلى سنوات أو واجبات إضافية، بحيث تختار الطرق الجيدة التي تتناسب مع مقتضيات العصر ومتطلباته. (عفيفي، د.ت، ص ٢٦٢).

ومن أجل تحقيق ذلك فإنه ينبغي على التربية أن تستفيد مما يلي:

أ- ما أبدعته التقنية الحديثة في مجال خزن المعلومات واسترجاعها مما يوفر كثيرا من الوقت والجهد.

ب- التجديد في طرق التدريس لجميع المواد، بما في ذلك مواد الثقافة الإسلامية، بما يساعد على التفكير والاستنتاج واعتماد التعلم الذاتي الذي يساعد على الإحاطة

بمشكلات الحياة المعاصرة والإسهام في حلها بدلا من الحفظ والاسترجاع الذي يسود الآن.

ج- أن تقوم التربية العلمية للمرأة المسلمة المعاصرة على أساس الإيمان بأهمية التقدم العلمي في نهضة الأمة والوصول بها إلى المستوى الحضاري المنشود.

د- تدريس مواد العلوم في مختلف المراحل التعليمية بما يساير التطورات العالمية من حيث المستوى والوسائل والكتب والطرائق والمختبرات وغيرها من وسائل الإيضاح.

هـ- الحرص على تقديم كل ما يجد في مجال التقنية في مختلف التخصصات، خاصة في ظل المتغيرات التي اضطرت كثيرا من النساء إلى الخروج للعمل دون رغبة منهن، فالتقنية الحديثة يمكن أن تقلل من خروج المرأة من المنزل، وذلك ما أشارت إليه التقارير المقدمة إلى مؤتمر (التأثيرات الاجتماعية والاقتصادية لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات)، حيث تحدث المحاضرون عن تدني أسعار التقنية في القرن المقبل، بحيث يصبح في متناول جميع الأفراد إمكانية اقتناء الأجهزة الضرورية التي تمكنهم من المشاركة في استقبال وإرسال المعلومات من وإلى المدارس والمستشفيات والمؤسسات الحكومية. (الشرق الأوسط، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦٠١٨).

وهناك عدد من الأهداف التي ينبغي توجه جميع مؤسسات التربية المباشرة وغير المباشرة من أجل وضعها بعين الاعتبار في إعدادها للمرأة المسلمة المعاصرة وهي:

أ - إدراك عظمة الله وعظمة إبداعه، وذلك من خلال التفكر في منجزات التقنية الحديثة من وسائل الاتصال، والأجهزة الحاسبة، وأجهزة التحكم في حركات الأجسام السابحة في الفضاء وغيرها من المنجزات الدالة على عجائب ما أودعه الخالق في الإنسان من قدرات وطاقات مكنته من تحقيق هذه الإنجازات.

ب- تدريبها على الاستخدام الصحيح للسمع والبصر والفؤاد بما يمكنها من الربط بين آيات الله في الكتاب وآياته في الكون، مما يؤكد في نفسها عمق الإيمان بالله وعدم الانبهار بما يبعدها عنه.

ج- تنمية روح العمل والجد ونبذ الكسل والتواكل، وبذلك ينتفي من حياتها الزهد المقعد عن العمل رغبة في الآخرة، حيث تعلم يقينا أن العمل في الدنيا عبادة أيا كان نوعه مادام يبتغى به وجه الله.

د- تربيتها على رفض التبعية للغرب من خلال تنمية وعيها حتى لا تخدع بالعلوم المادية التي تصور لها الحضارة الغربية والمدنية الحديثة بصورة المنقذ للبشرية؛ لأنها إذا ما أدركت كبر الآثام التي يرتكبها الغرب في حق الشعوب الأخرى خاصة على مستوى البيئة - الكون - فإن ذلك يجعل ميزان الحسابات لديها مختلفا عن الشعور الحالي السائد لدى كثيرات من الغافلات ممن يعتبرن الغرب هو القائد ويقنعن بدور التابع.

هـ- الاهتمام بالتعليم المهني والفني لإبراز ميول الفتيات منذ الصغر، وتدريبهن على اكتساب وإتقان المهارات التي تمكنهن من أداء مسئولياتهن المستقبلية، والإسهام بفعالية في تطوير المجتمع المحلي من حيث الإنتاج.

وقد تضمنت توصيات مؤتمر بكين توجيها لدول العالم في الاهتمام بهذا الجانب لدى المرأة ، ومن ذلك ما نصه:

" ينبغي وضع سياسات خاصة بالتعليم والتدريب وإعادة التدريب لضمان اكتساب المرأة مجموعة واسعة من المهارات بغية مواجهة المتطلبات الجديدة. وهناك حاجة إلى إيجاد سياسات تضمن توفير التعليم والتدريب المهني للفتاة والمرأة من جميع الأعمار، وزيادة الوصول إلى التعليم في مجالات العلم والتكنولوجيا والرياضيات والهندسة وتكنولوجيا المعلومات والتكنولوجيا الرفيعة فضلا عن التدريب في مجال الإدارة." (وثائق مؤتمر بكين في الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦١٤٢، الفقرة ٦٢: هـ).

و- تعريف المرأة بالعالمات من النساء اللاتي ضحين بالكثير في سبيل العالم في الماضي والحاضر، لتستمد منهن القدوة والحماس للسير في دربهن.

ز- الالتزام بالأصالة في السعي نحو تحقيق المعاصرة وذلك لأن لكل مجتمع متطلباته ومقوماته وتحدياته ومشكلاته النابعة من ظروف الزمان والمكان، وقيمه ومبادئه التي تأسس عليها منذ بداية قيامه.

ح- ملائمة المعرفة التقنية المقدمة للمرأة المسلمة مع احتياجاتها ومطالبها من حيث التدريب والإتقان لكل ما يساعدها على الإحسان في أداء مسئولياتها.

ط- مقاومة الغزو الثقافي الذي يجعل الغرب الصورة الوحيدة للحضارة في عالم اليوم بحيث تتعرف المرأة على الصيغ الأخرى للحضارة الموجودة في عالم اليوم لدى دول شرق آسيا وأمريكا اللاتينية، والتي تشترك معنا في كثير من السمات، والتي اعتمدت على

خصوصياتها في مقاومتها لهيمنة الغرب، وحاولت إنجاز مشاريع حضارية خارجة عن هيمنة الغرب (محمد في الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦٠٣٦).

ي- الاستفادة من منجزات التقنية الحديثة في الارتقاء بوضع المرأة المسلمة المعاصرة التي مازالت ترسف في قيود الأمية في كثير من البيئات.

فمثلا يمكن الاستفادة من وسائط الثقافة المختلفة خاصة الإعلامية منها في الارتقاء بوعي النساء ممن لم تتح لهن الفرصة لإكمال تعليمهن، بحيث تصل المعارف والخبرات إليهن في داخل منازلهن دون حاجة إلى مغادرتها.

كما يمكن من خلال نظم شبكات الاتصالات الحديثة توفير النصائح والمعلومات الصحية والدعم الاجتماعي خاصة لمن يعانين من مشكلات معينة.

ك- تنمية قدرة المرأة على التفكير العلمي وصقل فضولها الفكري بما يدفعها إلى معرفة المزيد عن العالم المحيط، ومن ثم استخدام معرفتها في حل ما يواجهها من مشكلات.

وسوف نورد فيما يلي أمثلة لما يمكن للتربية أن تقدمه للمرأة المسلمة المعاصرة في مجال التقنية من معرفة تساعدها على الأخذ بما يتفق مع تعاليم ديننا وقيمه، والابتعاد عما يخالف ذلك.

سادسا: اتجاهات ومهارات ينبغي أخذها بعين الاعتبار في تربية المرأة المسلمة المعاصرة:

١ - التدريب على الإحسان في استخدام الطاقة:

فالمرأة المسلم المعاصرة تحتاج إلى دراسات في هندسة الطاقة، وفروع التقنية المرتبطة بها، بأساليب مبسطة تزيد من معرفتها بمجالات استخدام الطاقة بفعالية، بعيدا عن الهدر الملاحظ لدى كثير من فئات المجتمع. ويتعلق بهذا المجال تعريف المرأة بالأجهزة والأدوات الكهربائية المختلفة، وتدريبها على كيفية الاستخدام الصحيح لها بما يطيل عمرها. ومن ذلك التعرف على الفولت والوات، ومقدار الاستهلاك الكهربائي لكل جهاز، سيما وأن المنزل الحديث قد أصبح مزودا بكثير من الوسائل التقنية المولدة للطاقة بأنواعها كالكهرباء والغاز والأشعة، والتي تساعد كثيرا في التخفيف من عناء ربة المنزل بما تقدمه من خدمات.

هذا عن **المدينة** أما في **الريف** حيث مازال استخدام الطاقة التقليدية من وقود وحطب وروث قائما، فإن الأمر يحتاج إلى تحديث الأساليب، ومن ذلك إدخال فكرة الطاقة الشمسية الموفرة اقتصاديا.

ويجدر بالذكر أن نشير هنا إلى أهمية قيام التربية بالتوعية بمضار الأساليب التقليدية في توليد الطاقة، والتي غالبا ما تتسبب بدخانها في إحداث أمراض بالجهاز التنفسي. (حمد وأخريات، د. ت، ص ٨).

٢- إمداد المرأة بالمهارات اللازمة التي تساعدها على الإحسان في أداء مسئولياتها:

فهناك كثير من المهارات التي ينبغي على التربية أن تهتم بتدريب المرأة المسلمة العاصرة عليها، ومنها:

أ- المهارات التي تمكنها من الحفاظ على الأمن المنزلي:

فالأسرة في المنزل معرضة لكثير من المخاطر داخل المنزل مثل الحرائق بسبب الغاز أو الكهرباء، والاختناق والغرق والتسمم وغيرها من الحوادث. ومن ثم فإنه ينبغي الاهتمام بتوعية المرأة المسلمة المعاصرة بالسبل الكفيلة بتجنب الحرائق، وفي الوقت نفسه تمدها بالخبرات اللازمة التي تمكنها من إحسان التصرف إزاءها. وتدربها على الأجهزة والأدوات التي ينبغي عليها استخدامها في مواقف عملية تضمن تمكنها من استخدامها بما يقضي على الأخطار حال وقوعها، بدلا من الخوف والهلع الذي يعتبر سمة النساء في مثل هذه المواقف مما يعوق المرأة و/ أو من حولها عن إحسان التصرف.

كذلك ينبغي الاهتمام بتوعية المرأة المسلمة المعاصرة بالمخاطر التي يمكن أن تتعرض لها الأسرة، من قبل عديمي الخلق والإيمان، ممن لا يتورعون عن الاعتداء على البيوت الآمنة، بحيث تدرب على المهارات التي تمكنها من صد أي عدون محتمل، وتعرف ببعض الأجهزة التي يمكن استخدامها في مثل هذه الظروف [١].

---

(١) أدى الخروج غير المنضبط للمرأة الغربية إلى معاناتها من كثير من المشكلات؛ من أبرزها الاعتداءات الخلقية، وهذا ما دفع بالعقول هناك إلى ابتكار (الحارس الصامت للمرأة السائقة)، وهو عبارة عن تمثال على شكل= = رجل طويل وقوي البنية ويرتدي نظارة وقبعة كأنه حارس خاص، يجلس بجوار المرأة السائقة، فيعطي إيحاء بوجود رفيق لها؛ الأمر الذي يمنع المغرضين من مضايقتها. والتمثال يشبه الرجل حقيقة، ويمكن بعد

ب- مهارات التمريض:

وهذه لا غنى عنها في كل أسرة. ومن ثم فإنه لابد من أن تمد المرأة المسلمة المعاصرة بالخبرات اللازمة عن أصول التمريض، والإسعافات الأولية، وتدربها على المهارات المرتبطة بها مثل استخدام الحقن وقياس النبض وغير ذلك.

وبذلك تسهم المرأة المسلمة المعاصرة في مد يد العون لكثيرين ممن حولها خاصة في ظل انتشار كثير من الأمراض المزمنة في هذا العصر.

ج- مهارات منزلية مختلفة:

هناك كثير من أمور المنزل البسيطة يمكن للتربية أن تدرب المرأة المسلمة المعاصرة على القيام بها، لتكفي حاجة الأسرة فيها، وتسهم في الوقت نفسه في توفير النفقات فيما لو احتاج الأمر إلى إحضار من يقوم بها من خارج المنزل ومن هذه المهارات:

١- أمور السباكة البسيطة مثل إصلاح صنبور، تسليك بالوعة، تغيير محبس..إلخ.

٢- بعض أعطال الكهرباء البسيطة مثل خلل في تشغيل الأدوات الكهربائية المختلفة، عمل بعض التوصيلات اللازمة.

٣- بعض التطبيقات العملية في الفن والزخرفة والتي يمكن بواسطتها أن تقوم المرأة بتزيين منزلها وإضفاء لمساتها الخاصة عليه.

٤- بعض التطبيقات العملية في الصناعات الغذائية مثل المربيات والحلويات والأجبان.

٥- تطبيقات عملية في فن الحياكة والتطريز والتريكو الآلي واليدوي مما يساعدها على كفاية نفسها وأسرتها في ذلك.

٦- المرأة الريفية تحتاج إلى تدريب على المهارات التي تمكنها من الإحسان في أدائها لمسئولياتها المختلفة، خاصة الزراعية، حيث ينبغي إمدادها بالخبرات، وتدريبها على المهارات اللازمة التي تمكنها من الارتقاء بمستوى الإنتاج ومن ذلك تعريفها بالآلات الحديثة، وتعليمها كيفية استخدامها.

إفراغ الهواء منه حفظه في حقيبة بلاستيكية. (الحارس الصامت في مجلة حواء، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧، ع ٢١٠٦، ص ١١).

وإلى جانب ذلك ينبغي إمداد المرأة الريفية بالإرشادات اللازمة التي تساعدها على الارتقاء بالوضع الصحي العام للمنازل والمطابخ والبيئة بصفة عامة، وكذلك تعريفها بالأسمدة الكيماوية والمبيدات الحشرية، وآثار كل ذلك على البيئة وعلى الأغذية.

٣- إمداد المرأة بالخبرات والاتجاهات التي تعينها على الإحسان في اختيار ما يتعلق بأطفالها من أجهزة وألعاب:

إن من المسلم به أن اللعب حاجة من الحاجات المهمة لدى الأطفال، وأن إشباعها لابد وأن يتم وفقا لأسس تربوية تراعي إلى جانب تحقيق الترفيه عن الطفل؛ أن تكون مناسبة لنموه الجسمي والعقلي والعمري، و قبل ذلك أن تكون ملبية لحاجة الطفل المسلم بحيث تعزز لديه الانتماء إلى حضارته الإسلامية ولا تجرفه بعيدا عنها.

ونجد اليوم أن سوق الألعاب في غالبه يعكس ثقافة المجتمع الغربي بعيدا عن تراثنا الحضاري، لكن ذلك لا يمنع - كما يقول د.عبد الرزاق الحمد [1] - أن يراعي المربون اختيار الألعاب التي يمكن صبغ مضمونها بالصبغة الإسلامية.(ألعاب موقوتة.. في اليمامة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ع ١٤٤٣، ص ٢٣).

ومن ثم فإنه ينبغي إمداد المرأة المسلمة المعاصرة بالخبرات اللازمة في هذا المجال بحيث تتمكن من ممارسة دورها في توظيف الألعاب المعاصرة لخدمة أطفالها دون تبذير، ودون تهاون بالقيم، مع مراعاة الجانب الأمني في الموضوع.

وقد أشار د.محمد الوهيد إلى أن من بين الألعاب ما هو مصنوع من مواد خطرة كالألياف الكربونية والدهانات المشعة والروائح التي قد يكون لها تأثير المخدرات ونحوها، وكل ذلك يضع على عاتق الأسرة - وخاصة الأم - مسئولية الحرص على الوعي الكامل الذي يمكنها من تحديد الهدف التربوي والتعليمي للعبة وصلتها بعملية التطبيع الاجتماعي وسلامتها (من حيث المكونات)، ومن حيث خطورة الاستعمال (جارحة أو حارقة)، وكذلك من حيث الإسراف، والابتزاز بالثمن من قبل المصدر أو الموزع (ألعاب موقوتة.. في اليمامة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ع ١٤٤٣، ص ٢٤).

---

(١) رئيس قسم الطب النفسي بكلية الطب/ جامعة الملك سعود بالرياض.

٤- توجيهها إلى أهمية الالتزام بالأصالة في الاستفادة من منجزات التقنية الحديثة:

في غمرة الانبهار بالحضارة الحديثة، نسيت المرأة المسلمة المعاصرة -إلا من رحم الله- حقيقة انتمائها لخير أمة، ومن ثم عمدت إلى استبدال الخير بالأدنى، وانجرفت وراء تقليد الآخرين دون تمحيص. وما كان لذلك أن يحدث لولا أن شخصية المرأة المسلمة المعاصرة قد انهدمت عقديا وثقافيا وفكريا، مما ساعد على تقبلها للزيف، ودفع بها إلى التبعية والذوبان في الآخرين.

لقد أصبحت المرأة المسلمة المعاصرة زبونا مقلدا - دون أصالة - لحضارة غريبة، تفتح أبواب متاجرها أكثر من أبواب مدارسها مخافة أن يتعلم منها التلاميذ كيف يستخدمون مواهبهم في تحقيق أهدافهم. (ابن نبي، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص ٦٥)، ومن ثم وجدناها مغرمة بكل ما هو غربي من حيث المظهر فقط، وذلك لأنها ورثت مناخ التخلف الذي يعيش فيه المسلمون، فلم تعد ترى من الحضارة المعاصرة سوى إنجازاتها المادية، في حين عميت عن رؤية الأسس التي توجه هذه الإنجازات من قيم وثقافة.

إن من الوهم الظن بأن الإنتاج المادي للتقنية الحديثة محايد ومجرد عن العبور بقيمه وثقافته التي نما في ظلها؛ لأنه فعلا ثمرة للمكون الثقافي والقيمي الذي أنبتته وسبيل إليه، بمعنى أنه يمثل أحد المعابر الرئيسية لإشاعة القيم الثقافية لبيئته. (حسنة في مقدمة السايح، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ١٣-١٤).

ومن ثم فإنه ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الاهتمام بتبصيرها بحقيقة التقنية المعاصرة، وخلفياتها، بحيث تمد بما يساعدها على اكتساب القدرة على التمييز بين ما يمكن أخذه منها وما يجب تركه، بناء على القيم والثقافة التي شكلت الأسس في بنائها، سيما وأن من بين المسلمات من هن في حاجة إلى تعريفهن بالتقنية الحديثة وكيفية استخدامها من أجل الارتقاء بوضعهن ووضع أسرهن في ظل التخلف الاقتصادي الذي يخيم على غالبية المجتمعات الإسلامية، والذي يضطر معه كثير من أرباب الأسر إلى هجرة أوطانهم في سبيل تحقيق سبل عيش كريم تاركين نسائهم مسئولات عن إعالة أسرهم في غيابهم.

والاستفادة من نتائج العلم الحديث تقتضي الأخذ بالمنهج الذي طبقه المسلمون الأوائل، حين عملوا على تطويع ما أخذوه وفقا لتصورهم للحياة، والنشأة والمصير، وبذلك أصبحوا أصلاء وغير مقلدين، وذلك لأن الأصالة - كما يقول الأستاذ محمد

قطب - " لا تمنع الاستفادة من ثمار العلم وثمار الحضارة المادية، التي هي في النهاية جهد بشري تتداوله الأمم، وتتداوله الأجيال - لكنها تمنع الذوبان وفقدان الشخصية بتأثير النقل "، ويضرب مثلا لذلك بالبيت الذي هو من حيث المبدأ مأوى وسكن، لكن الفارق في المفاهيم وأثرها على السلوك يبرز من خلال المقارنة بين البيت في العمارة الإسلامية الأصيلة، وفي الجاهلية المعاصرة. فالأولى تعتبره صيانة للآداب والأخلاق والأعراض، بينما تتخذ منه الثانية استعراضا لما أمر الله بستره عن أعين الفضوليين. (محمد قطب، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ١٠٥ -١٠٧).

فالأشكال المادية التنظيمية هي وسائل تعبر عن مفاهيم الحضارة، ويأتي الإبداع في التنفيذ. لكن المسلم غالبا ما يفتن، فنجده في غمرة الاستفادة من نتائج العلم الحديث ينسى الاعتبار بها لكونها تأتي من غير بلاد المسلمين.

والأمر يحتاج إلى أن تقوم التربية بتوضيح الأسباب التي أدت بالغربيين إلى الانحراف بالعلوم المادية عن الأصل الذي كانت عليه عند المسلمين الذين أخذوها عنهم، وعظم الخسارة التي لحقت بالإنسانية من وراء الفصل بين العلم والدين، وإغلاق الفكر أمام عالم الروح لأسباب تاريخية.

ولابد من التأكيد على الفرق بين قيم ومفاهيم الحضارة الروحية التي تعتبر الدنيا مجرد جسر للآخرة حيث الجزاء والحساب، وحيث تظهر ثمرات العمل الصالح في الدنيا، وبين الحضارة المادية التي يحاول الإنسان أن يستغلها لمصلحته قبل أن يموت.فالحضارة الغربية حينما اقتبست أسسها من الحضارة الإسلامية التي سبقتها، رفضت أبرز خصائصها، وهو التوحيد، مما دفع بها إلى إخراج الدين من إطار العقل والدنيا.

بل إن الإسلام يمثل السبيل إلى التقدم الحقيقي لأنه يفرض قوانين التقدم، ويضع ضوابطه، لكن المسلمين متخلفون؛ لأنهم لم يأخذوا بالأسباب التي أوجبها الله على من أراد التقدم فتأخروا في حين أخذ بها الآخرون فتقدموا تقدما سدده العقل لا الوحي، وشتان بين الاثنين.

ويؤكد ذلك ما نشاهده لدى بعض دول شرق آسيا الإسلامية، التي أخذت تخطو في طريق التقدم الحضاري منذ فترة، مما جعل الغربيين يتنبهون إليها، وبدأ علماؤهم الاجتماعيون يبحثون عن سر نجاحها، من بينهم العالم (آرنست جلنر) الذي توصل إلى أن

السر يكمن في " الإسلام الرفيع "، أي الإسلام المعتمد على العقل والعلم والثقافة والمدنية الحديثة، بعيدا عن الخرافات، وأنه أساس بناء أمة إسلامية حديثة ناجحة (حوار مع أنور إبراهيم .. في المستقلة، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م، ع ٨٠).

وتنمية روح الأصالة والمعاصرة في نفس المرأة المسلمة المعاصرة تتم من خلال توجيه المحتوى التربوي المقدم إليها من خلال جميع المؤسسات التربوية، الوجهة الإسلامية الصحيحة، بحيث لا يكون هدفا في حد ذاته، بل سبيلا إلى إدراك عظمة الله وترسيخ الإيمان به، وتحقيق السيطرة على الكون، واستخدام مسخراته في عمارة الأرض وفق شريعة الله، بحيث ينعكس أثر ذلك على استفادتها من المنجزات التي توصلت إليها الحضارة الغربية، فلا تندفع وراءها بدون وعي، بل تنظر إلى مدى ملائمة ذلك لتصورها الإسلامي عن الوجود كله.

* * *

المبحث الثالث عشر
التربية وطبيعة المرأة بين الإسلام وعلم النفس

إن الناظر في القرآن الكريم والسنة النبوية، يجد أنهما يقدمان عالم النفس بأجلى صوره وأدق معالمه وعموم حكمته بما يشير إلى منهج التربية الإسلامية التي تحرص على بناء النفس البشرية على كيفية تجعلها ترقى بالعلم والفهم والتسليم بحكمة الله سبحانه وتعالى في كل الأمور، بحيث ينعكس أثر ذلك على سلوك الفرد المسلم في واقع حياته ويجعله يعيش في أمن وطمأنينة وراحة بال.

وسوف نحاول في هذا المبحث التعرف على بعض الجوانب النفسية للمرأة التي ينبغي على التربية أخذها بعين الاعتبار في إعدادها للمرأة المسلمة المعاصرة وذلك من خلال الحديث عن:

١- حقيقة الاختلاف بين النوعين (الذكر والأنثى).

٢- دور التربية في توجيه المرأة عبر مراحل نموها المختلفة.

٣- صفات نفسية اختصت بها المرأة.

٤- دور التربية في إعداد المرأة المسلمة المعاصرة بما يساعدها على التمتع بالصحة النفسية.

٥- بعض القضايا التي تهم المرأة المسلمة المعاصرة.

أولا: حقيقة الاختلاف بين النوعين: الذكر والأنثى:

خلق الله الناس من بني الإنسان متفاوتي القدرات والمواهب، وهذا الاختلاف والتنوع هو الذي يكفل تحقيق مطالب المجتمع ومسيرة الحياة. ونجد أن هذا الاختلاف فيما يتعلق بالرجل والمرأة هو أكثر عمقا ووضوحا.

وفيما يلي سوف نتناول أهم جوانب الاختلاف والفروق التي أشارت إليها الدراسات الطبية والنفسية والاجتماعية وذلك من خلال تقسيمها إلى ثلاثة أقسام[1]:

١- فروق جسمية. ٢- فروق عقلية. ٣- فروق وجدانية.

---

(١) هذا التقسيم واستنتاج الفروق هو خلاصة النظر في المراجع التالية: الهيلة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ١٤-٥، ميخائيل أسعد، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ١٥٩، ص٢٤٩- ٢٥٠ بتي فريدان،١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م، ص ١٨٤ - زكريا إبراهيم، د.ت، ص ٢٥- Rahman, 1986, pp. 189-191, p.204,.